مركز الدراسات والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

أوراق معرفية

مجلة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات والمراجعة العلمية

العدد الخامس عشر
شهر جمادى الأولى/ ١٤٤٣هـ- كانون الأول ٢٠٢١م

مركز الدراسات والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

اوراق معرفية

المشرف العام

سماحة السيد أحمد الصافي

الإشراف العلمي

السيد ليث الموسوي

رئيس التحرير

السيد عقيل الياسري

متابعة وتنفيذ

الشيخ حسن علي الجوادي

سكرتير التحرير

الشيخ حسين مناحي

المساهمون

الشيخ بدر العلي- موفق هاشم- مهند السهلاني

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود - عمار كريم السلامي

التصميم والإخراج الفني

علاء سعيد الأسدي

المحتويات

١٠ القرآن معجزة خالدة
زعيم الطائفة السيّد أبو القاسم الخوئي

١٣ في شرف القرآن وفضله ...
السيِّد حسين البروجردي

٢٣ سورة العلق
السيد محمد حسين الطباطبائي

٢٥ انتساب الادراك والتعقّل إلى القلب
الشيخ محمد جواد البلاغي

٢٨ التفرقة بين استتار النبي...
السيد الشريف المرتضى

٢٩ تفسير أسماء الله الحسنى
الشيخ تقي الدين الكفعمي

٣١ الأمر بين الأمرين
السيد عبد الأعلى السبزواريّ

٣٥ الإمام المهدي (عليه السلام)
السيد علي الحسيني الميلاني

٤٢ حقيقة السعادة
السيد محمد باقر السيستاني

٥٠ معنى الكعبين
الشيخ محمد حسن الجواهري

٦٠ أهمية الاجتهاد في التاريخ الاسلامي
المحقق الشيخ ضياء الدين العراقي

٦٣ التكفير متى نشأ ومن أين؟
السيد محمد رضا السيستاني

٦٧ في جهود النبيﷺ لصالح الإسلام...
المرجع الراحل السيد محمد سعيد الحكيم

٧٣ القول في محمد بن الحنفية
العلامة الحلي

٧٤ قصة الميرزا النوريّ
العلامة آغا بزرك الطهراني

٧٩ في فضل الصلوات اليومية ...
فقيه اهل البيت السيد كاظم اليزدي

٨٠ نصيحة السيد السيستاني ...
المرجع الأعلى السيد علي السيستاني

٨٢ الأخوة الخاصة والعامة في الإسلام
السيد محسن الأمين

٨٤ علاج الغضب
العلامة الفيض الكاشاني

٨٨ فقر الإنسان وحاجته
الشيخ محمد تقي الفلسفي

٩١ جغرافية كربلاء القديمة
السيد هبة الدين الشهرستاني

٩٣ خذوا الماء من عيني والنار من قلبي
الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء

الورقة الأولى

يعتبر العلم على مرِّ العصور هو المقياس لكلِّ حضارة أو بلد، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**يتفاضل الناس بالعلوم والعقول، لا بالأموال والأصول**»، ومن هذه العلوم ما هو مرتبط بالمادة وما أكثره في زماننا هذا سواء أكان من الجامد أم المتحرك، ومنها ما هو مرتبط بالسلوك المعنوي، سواء أكان الشخص مع نفسه تارة أم مع مجتمعه أخرى أم مع خالقه.

ولكلّ من هذين الأمرين نجد هنالك حملةً يُكملون مسير سلفهم ويختلف الأمر أحياناً فبعضهم من يطوّر نظريةً سبق وأن تمَّ طرحها على طاولة البحث العلمي أو يأتي برسومات أو مجسمات أو يركب مواد معدنية، وبعضهم يطرح نظرية لم تذكر من قبل، وبعضهم الآخر حافظ على الموروث التشريعي السماوي، مع مواكبته أحدث التطورات بحيث لم ينفرها أو يحرمها بحسب القواعد الأساسية العقلية والنقلية، وهذا أيضاً يدلّ على استمرار التحوّلات الجينية عند البشر نحو الأمام فهو ما يزال يتقدّم بالبحث والطرح ويتوسّع.

ودعوات الطرف الآخر لم ولن تثني عزيمة أولو العلم الحقيقي الموصل إلى ساحة الملكوت والقرب

الإلهي، كما تشير الآية: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالـمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَائِمًا بِالقِسْطِ﴾، والذي يتبع الأهواء سيخرج من الولاية والنصرة: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْـوَاءَهُـمْ بَعْدَ الَّـذِي جَـاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠).

ويبقى الـصراع مـا بـين هذين الخطين قائماً، وينتصر مَن كان مع: ﴿حِـزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِـزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾، وهكذا تجد: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، ويبقى كلّ خط له أبعاده ومساحته التي يتحرّك بها، ولكنّنا نجد بعض الأحيان أهل التمدّد الدنيوي بحسب أهوائهم وغيظهم لما يحصل من توسّع فكري نحو الخالق والعلم والحقيقة، يتدخلون في أمورٍ حسـداً مـن عند أنفسهم كـما تقول الآيـة: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِـنْ أَهْـلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾[1]، وهذا لم يـأتِ جُـزافـاً أو صـدفـةً، بـل هو: ﴿مِـنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَـهُمُ الحَـقُّ﴾[2]، من أنّ هذا التمدّد العمراني ليس هو الغاية والهدف، ومع ذلك فقد أوصت الآية أن نبقى على جانب من الخلق الرفيع والدعوة إلى العفو كما تقول: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَـأْتِيَ اللهُ بِـأَمْـرِهِ﴾[3]، ومن أمور الله تعالى هو قيام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، بعدها تكتمل العقول، ويُبسط العلم، ويزدهر العالم بالمعرفة والعدل.

وهـا هـو عـددنـا الخـامـس عشر الذي يحمل بين طياته الأوراق القرآنية السامية التي خُطت بأيادٍ حريصة على إكمال الرسالة المحمدية، حتى ظهور صاحب الطلعة البهية ارواحـنـا له الفداء، وهكذا أوراقنا الفكرية التي تُثبت لنا نهج الدين من غير عزوف عن الدنيا، وتبصّرنا الأمل المنشود، والحكمة من الاختبار، وهكذا بقية الأوراق تسير بتأمّل العلم تارة وبغور التأريخ أخـرى، وبطبيعة المجتمع وثقافة الإنسان.

(١) سورة البقرة: الآية١٠٩.

(٢) سورة البقرة: الآية١٠٩.

(٣) سورة البقرة: الآية١٠٩.

اوراد قرآنیه

القرآن معجزة خالدة

زعيم الطائفة السيّد أبو القاسم الخوئي

قد عرفت أنّ طريق التصديق بالنبوة والإيمان بها، ينحصر بالمعجز الذي يقيمه النبيّ شاهداً لدعواه، ولما كانت نبوءات الأنبياء السابقين مختصة بأزمانهم وأجيالهم، كان مقتضى الحكمة أن تكون معاجزهم مقصورة الأمد، ومحدودة، لأنها شواهد على نبوءات محدودة، فكان البعض من أهل تلك الأزمنة يشاهد تلك المعجزات فتقوم عليه الحجة، والبعض الآخر تنقل إليه أخبارها من المشاهدين على وجه التواتر، فتقوم عليه الحجة أيضاً.

أمّا الشريعة الخالدة، فيجب أن تكون المعجزة التي تشهد بصدقها خالدة أيضاً؛ لأنّ المعجزة إذا كانت

محدودة قصيرة الأمد لم يشاهدها البعيد، وقد تنقطع أخبارها المتواترة، فلا يمكن لهذا البعيد أن يحصل له العلم بصدق تلك النبوة، فإذا كلّفه الله بالإيمان بها كان من التكليف بالممتنع، والتكليف بالممتنع مستحيل على الله تعالى، فلا بدّ للنبوّة الدائمة المستمرة من معجزة دائمة. وهكذا أنزل الله القرآن معجزة خالدة ليكون برهاناً على صدق الرسالة الخالدة، وليكون حجة على الخلف كما كان حجة على السلف. وقد نتج لنا عمّا قدمناه أمران:

الأول: تفوّق القرآن على جميع المعجزات التي ثبتت للأنبياء السابقين، وعلى المعجزات الأخرى التي ثبتت لنبينا محمّد صلى الله عليه وآله لكون القرآن باقياً خالداً، وكون إعجازه مستمراً يسمع الأجيال ويحتج على القرون.

الثاني: إنّ الشرائع السابقة منتهية منقطعة، والدليل على انتهائها هو انتهاء أمد حجّتها وبرهانها، لانقطاع زمان المعجزة التي شهدت بصدقها.

ثم إنّ القرآن يختصّ بخاصة أخرى، وبها يتفوّق على جميع المعجزات التي جاء بها الأنبياء السابقون، وهذه الخاصّة هي تكفّله بهداية البشر، وسوقهم إلى غاية كمالهم. فإنّ القرآن هو المرشد الذي أرشد العرب الجفاة الطغاة، المعتنقين أقبح العادات والعاكفين على الأصنام، والمشتغلين - عن تحصيل المعارف وتهذيب النفوس - بالحروب الداخلية، والمفاخرات الجاهلية فتكوّنت منهم - في مدة يسيرة - أمة ذات خطر في معارفها، وذات عظمة في تاريخها، وذات سمو في عاداتها. ومن نظر في تاريخ الإسلام وسبر تراجم أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله المستشهدين بين يديه، ظهرت له عظمة القرآن في بليغ هدايته، وكبير أثره، فإنه هو الذي أخرجهم من حضيض الجاهلية إلى أعلى مراتب العلم والكمال، وجعلهم يتفانون في سبيل الدين وإحياء الشريعة، ولا يعبؤون بما تركوا من مال وولد وأزواج.

وإنّ كلمة المقداد لرسول الله صلى الله عليه وآله حين شاور المسلمين في الخروج إلى

بدر شاهد عدل على ما قلنا:

«يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فو الذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - يعني مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله خيراً، ودعا له بخير»[1].

هذا واحد من المسلمين، يعرب عن عقيدته وعزمه، وتفانيه في إحياء الحق، وإماتة الشرك. وكان الكثير منهم على هذه العقيدة، متذرّعين بالإخلاص.

إنّ القرآن هو الذي نور قلوب أولئك العاكفين على الأصنام، المشتغلين بالحروب الداخلية والمفاخرات الجاهلية، فجعلهم أشداء على الكفار رحماء بينهم.

يؤثر أحدهم حياة صاحبه على نفسه، فحصل للمسلمين بفضل الإسلام من فتوح البلدان في ثمانين سنة ما لم يحصل لغيرهم في ثمانمائة سنة. ومن قارن بين سيرة أصحاب النبيّ وسيرة أصحاب الأنبياء السابقين علم أنّ في ذلك سراً إلهياً، وأن مبدأ هذا السر هو كتاب الله الذي أشرق على النفوس، وطهر القلوب والأرواح بسموّ العقيدة، وثبات المبدأ. انظر إلى تاريخ الحواريين، وإلى تاريخ غيرهم من أصحاب الأنبياء تعلم كيف كانوا. كانوا يخذلون أنبياءهم عند الشدائد، ويسلمونهم عند خشية الهلاك!

ولذلك لم يكن لأولئك الأنبياء تقدّم على طواغيت زمانهم، بل كانوا يتسترون عنهم بالكهوف والأودية. وهذه هي الخاصّة الثانية التي تفضّل القرآن على سائر المعجزات.

(١) تاريخ الطبري: ج٢، ص١٤٠ الطبعة الثانية.

في شرف القرآن وفضله وتمثله يوم القيامة وشفاعته لأهله

آية الله العظمى
السيّد حسين البروجرديّ

الشواهد العقلية والنقلية من الكتاب والسنّة على ذلك كثيرة، فإنّه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وقد نزل به الروح الأمين على قلب خاتم النبيين (صلّى الله عليه وآله أجمعين)، وهو الحبل المتين، والكتاب المبين، والنسخة التدوينية المطابقة لعالم التكوين، ولذا قال سبحانه: ﴿وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناه فِي إِمامٍ مُبِينٍ﴾[1]، ﴿ولا رَطْبٍ ولا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ﴾[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله على ما في تفسير الإمام عليه السلام: «إنّ هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفى والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من استضاء به نوّره الله، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن

(١) سورة يس: الآية ١٢.
(٢) سورة الأنعام: الآية٥٩.

تمسّك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن آثره على ما سواه هداه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضلّه الله، ومن جعله شعاره ودثاره أسعده الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدى به ومعوّله الذي ينتهى إليه أدّاه الله إلى جنات النعيم، والعيش السليم»[1].

وفي الكافي، وتفسير العياشي عن مولانا الصادق عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأجداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الفتن، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة وفيه كمال دينكم، وما عدل أحد من القرآن إلّا إلى النار»[2].

أقول: الأجداث بالمعجمة جمع الجدث مُحرَّكة بمعنى القبر والمراد من ظلمة القبور على تقدير المضاف، ويحتمل أن يكون بالحاء المهملة، فان أحداث الدهر نوائبه، وإن كان لا يخلو عن تكلّف.

وفيها بالإسناد عن مولانا الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أيها الناس إنكم في دار هدنة، وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار، والشمس والقمر يبليان كل جديد، ويقرّبان كل بعيد، ويأتيان بكلّ موعود، فأعدّوا الجهاز لبعد المجاز»، قال: فقام المقداد ابن الأسود وقال: يا رسول الله ما دار الهدنة؟ قال صلى الله عليه وآله: «دار بلاغ وانقطاع فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنّه شافع مشفع، وما حل مصدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة»[3]، وزاد

(١) بحار الأنوار: ج ٩٢، ص ٣٠٢.
(٢) تفسير العياشي: ج ١، ص ٥.
(٣) تفسير العياشي: ج ١، ص ٢.

في الكافي: «**فليجل جال بصره، وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب ويخلص من نشب، فإنّ التفكّر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور فعليكم بحسن التخلُّص وقلَّة التربُّص**»[1].

قلت: إنّما عبر عليه السلام عن الدنيا بدار الهدنة وهي المصالحة والدعة والسكون؛ إذ فيها اختلاط الحق والباطل مع عدم الفصل والتميز التام والتباس كل منهما بالآخر فلا يقصد فيها الإقامة، بل السير على وجه السلامة، ونيل الكرامة، وهي ما أشار إليه بقوله: إنّه بلاغ إلى الآخرة وانقطاع عن الدنيا، وما حل مصدّق أي قويّ شديد يصدّق من اتّبعه أو يصدّقه الله تعالى فيمن يشهد له ويشفعه فيمن يشفع فيه، أو أنه يسعى بصاحبه إلى الله، أو أنّه خصم مجادل لأعدائه، مصدّق موافق لأوليائه، ومن جعله خلفه، يعني بالمخالفة والاهانة والتكذيب، والتخوم كالنجوم جمع تخم بفتح المثناة وسكون الخاء المعجمة كفلس وفلوس.

(١) الأصول من الكافي: ج ٢، ص ٥٩٩.

وعن ابن الأعرابي وابن السكّيت أن الواحد تخوم كرسول والجمع تخم كرسل، وعلى كلّ حال فهو حدّ الأرض وفي القاموس: إنه الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود.

وقوله عليه السلام: لمن عرف الصفة: أي صفة التعرّف وكيفية الاستنباط، كما قيل، أو أنّه دليل على معرفة الذات لمن عرف الصفات فإنّه لا يمكن معرفته سبحانه إلَّا بالصفات التي هي نفس فعله وهو مقام المشيئة وهو الأعراف الذين لا يعرفون الله إلَّا بسبيل ولا يتهم ومحبتهم وذلك لأنّ القرآن إنما نزل فيهم وفي شيعتهم وفي أعدائهم كما تأتي الإشارة إليه.

وروى العياشي بالإسناد عن الحارث الأعور قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين إنّا إذا كنّا عندك سمعنا الذي نسدّد به ديننا وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة، ولا ندري ما هي؟ قال أو قد فعلوها؟ قال: قلت: نعم، قال عليه السلام: «**سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أتاني جبرئيل فقال: يا محمد ستكون في أمتك فتنة قلت: فما المخرج**

منها؟ فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، ومن وليه من جبّار وعمل بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، لا تزيغه الأهوية ولا تلبسه الألسنة، ولا يخلق على الردّ، ولا ينقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، هو الذي لم تلبث الجن إذا سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾[1] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به فقد هدي صراط مستقيم، هو الكتاب العزيز الذي، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»[2].

وفي (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يجيء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورة.. إلى أن قال عليه السلام: حتى ينتهي إلى رب العزة فيقول: يا ربّ فلان ابن فلان أظمأت هواجره[3] وأسهرت ليله في دار الدنيا، وفلان ابن فلان لم أظمأ هواجره لم أسهر ليله، فيقول: -تبارك وتعالى- أدخلهم الجنة على قدر منازلهم فيقوم فيتبعونه، فيقول للمؤمن اقرأ وارق قال: فيقرأ ويرقى حتّى يبلغ كلّ منهم منزلته التي هي له فينزلها[4].

وفيه عن مولانا الصادق عليه السلام في حديث يدعى ابن آدم فيقدم القرآن أمامه في أحسن صورة فيقول: يا ربّ أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي ويطيل ليله بترتيلي، وتفيض عيناه إذا تهجّد فأرضه كما أرضاني قال: فيقول العزيز الجبار: عبدي أبسط يمينك فيملأها من رضوان الله ويملأ شماله من رحمة الله، ثم يقال هذه الجنة مباحة لك فاقرأ واصعد فإذا قرأ آية صعد درجة[5].

وفي الكافي بالإسناد عن سعد الخفّاف عن مولانا أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «يا سعد تعلموا القرآن فإنّ القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليه الخلق والناس صفوف

(١) سورة الجن: الآية١.
(٢) تفسير العياشي: ج ١، ص ٣.
(٣) الهواجر: جمع الهاجرة وهي شدة حر النهار.
(٤) الأصول من الكافي: ج ٢، ص ٦٠١.
(٥) الأصول من الكافي: ج ٢، ص ٦٠٢.

عشرون ومائة ألف صف ثمانون ألف صفّ أمّة محمّدﷺ وأربعون ألف صفّ من سايرالأمم، فيأتي على صفّ المسلمين في صورة رجل فيسلم فينظرون إليه، ثمّ يقولون: لا إله إلّا الله الحليم الكريم إنّ هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته وصفته غير أنه كان أشدّ اجتهاداً منّا في القرآن فمن هناك أعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه، ثمّ يجاوز حتى يأتي على صفّ الشهداء فينظر إليه الشهداء، ثمّ يقولون: لا إله إلّا الله الربّ الرحيم إنّ هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته غير أنّه من شهداء البحر في صورة شهيد فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجبهم، ويقولون: إنّ هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته غير أن الجزيرة التي أصيب فيها كان أعظم هولاً من الجزيرة التي أصبنا فيها، فمن هناك أعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه، ثمّ يجاوز حتى يأتي صف النبيين والمرسلين في صورة نبي مرسل فينظر النبيون والمرسلون إليه فيشتدّ لذلك تعجبهم ويقولون: لا إله إلا الله الحليم الكريم إنّ هذا النبيّ مرسل نعرفه بصفته وسمته غير أنه أعطي فضلاً كثيراً قال: فيجتمعون فيأتون رسول اللهﷺ فيسألونه ويقولون: يا محمّد من هذا فيقولﷺ: أو ما تعرفونه فيقولون: ما نعرفه هذا مما لم يغضب الله عليه، فيقول رسول اللهﷺ: هذا حجّة الله على خلقه فيسلّم ثمّ يجاوز حتّى صفّ الملائكة في صورة ملك مقرّب فينظر إليه الملائكة فيشتدّ تعجبهم ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله ويقولون: تعالى ربّنا وتقدّس إنّ هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته غير أنّه كان أقرب الملائكة من الله -عز وجل- مقاماً من هناك أُلبس من النور والجمال ما لم نلبس، ثمّ يجاوز حتّى ينتهي إلى ربّ العزة تبارك وتعالى: فيخرّ تحت العرش فيناديه تبارك وتعالى يا حجتي في الأرض وكلامي الصادق الناطق ارفع رأسك وسل تُعطَ واشفع تشفع فيرفع رأسه فيقول الله تبارك وتعالى: كيف رأيت عبادي، فيقول: يا ربّ منهم من صانني وحافظ عليَّ ولم يضيّع شيئاً، ومنهم من ضيّعني واستخفّ بحقّي وكذّب بي، وأنا حجّتك على

جميع خلقك، فيقول الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب، ولأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب، قال فيرفع القرآن رأسه في صورة أخرى.

قال: فقلت له: يا أبا جعفر في أي صورة يرجع؟ قال عليه السلام: في صورة رجل شاحب متغيّر ينكره أهل الجمع فيأتي الرجل من شيعتنا الذي كان يعرفه ويجادل به أهل الخلاف، فيقول: ما تعرفني؟ فينظر إليه الرجل فيقول: ما أعرفك يا عبد الله قال: فيرجع في صورته التي كانت في الخلق الأول فيقول: ما تعرفني؟ فقال: نعم، فيقول القرآن: أنا الذي أسهرت ليلك، وأنصبت عيشك وسمعت الأذى ورجمت بالقول فيّ ألا وإنّ كل تاجر قد استوفى تجارته، وأنا وراءك اليوم، قال: فينطلق به إلى رب العزة - تبارك وتعالى- فيقول: يا رب عبدك وأنت أعلم به قد كان نصبا بي مواظبا عليّ يعادي بسببي ويحب في فيقول الله -عز وجل- أدخلوا عبدي جنّتي وأكسوه حلّة من حلل الجنة وتوجوه بتاج، فإذا فعل به ذلك عرض على القرآن فيقال له: هل رضيت بما صنع بوليك؟ فيقول: يا رب أستقلّ هذا له فزده مزيد الخير كله فيقول: وعزّتي وجلالي وعلوي وارتفاع مكاني لأنحلنّ له اليوم خمسة أشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته ألا إنّهم شباب لا يهرمون، وأصحاء لا يسقمون وأغنياء لا يفتقرون، وفرحون لا يحزنون، واحياء لا يموتون، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الأُولى﴾[1] قلت: جعلت فداك يا أبا جعفر وهل يتكلّم القرآن؟ فتبسم، ثمّ قال: رحم الله الضعفاء من شيعتنا إنّهم أهل تسليم، ثم قال: نعم يا سعد والصلاة تتكلّم ولها صورة وخلق تأمر وتنهى، قال وتغير لذلك لوني وقلت: هذا شيء لا أستطيع أتكلم به في الناس، فقال أبو جعفر عليه السلام: وهل الناس إلّا شيعتنا فمن لم يعرف بالصلاة فقد أنكر حقنا ثم قال عليه السلام: يا سعد أسمعك كلام القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلى صلّى الله عليك فقال عليه السلام إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر فالنهي كلام،

(١) سورة الدخان: الآية ٥٦.

والفحشاء والمنكر رجال ونحن ذكر الله ونحن أكبر[1].

اعلم أنّ التعلّم المأمور به في هذا الخبر وغيره من الأخبار يشمل تعلّم ألفاظه ونقوشه ومعانيه، وظواهره وبطونه، والتحقّق بحقائقه، والتخلّق بأخلاقه، وامتثال أوامره ونواهيه، فإنّ جميع ذلك داخل تحت صدق التعلّم الذي له عرض عريض، وإن كانت أفراده مختلفة بحسب المراتب والدرجات التي يترتب عليها نيل الكرامات ورفع الدرجات حسبما نشير إليه، وأمّا تمثّله يوم القيامة ومجيئه في أحسن صورة نظر إليه الخلق فلتجوهر الحقائق وتجسّم الأعمال، ولذا يتجلى بأحسن صورة غير أنّ الخلائق لا يقدرون على رؤيته على الصورة التي له في نفسه لقصور أنظارهم وكلال أبصارهم، وإنّما يراه كل أحد بأحسن ما هو عنده من نظره واعتقاده على حسبما كانوا يتعلّمونه ويتلونه في الدنيا، ولذا يتراءى لكل من مئة الناس والشهداء والأنبياء والملائكة على صوره أحسنهم وأشرفهم وأفضلهم فإنّهم لما آنسوا به أظمؤوا هواجرهم وأسهروا لياليهم بتلاوته، بل تخلّقوا بأخلاقه وتحقّقوا ببعض حقائقه عرفوه بنعته وصفته، فهم لأنسهم بما يناسبه من المعارف والحقائق يعرفونه ويأنسون به ويستبشرون برؤيته، وإن كانوا لا يعرفونه حقّ معرفته لقصورهم عن إدراك درجته ومرتبته؛ لأنّهم لم يتلوه حقّ تلاوته، وقد يُقال: إنه لمّا كان المؤمن في نيّته أن يعبد الله حقّ عبادته ويتلو كتابه حقّ تلاوته إلّا أنّه لا يتيسّر له ذلك كما يريد.

وبالجملة لا يوافق عمله ما في نيّته، كما ورد في الحديث: نيّة المؤمن خير من عمله[2] فالقرآن يتجلىّ لكلّ طائفة بصورة من جنسهم إلّا أنّه أحسن في الجمال والبهاء وهي الصورة التي لو كانوا يأتون بما في نيتهم من العمل بالقرآن لكان لهم تلك الصورة، وإنّما لا يعرفونه بنعته ووصفه، لأنّهم كانوا يتلونه، وإنّما وصفوا الله بالحلم والكرم والرحمة حين رؤيتهم لما رأوا في

(١) الأصول من الكافي: ج ٢ ص ٥٩٦.

(٢) مشهور بين الفريقين وقيل في معناه وجوه واحتمالات كما في أمالي السيد المرتضى ومشكلات العلوم للنراقي وغيرهما.

أنفسهم في جنبه من النقص والقصور الناشئين من تقصيرهم، ولذا يرجون من الله العفو والكرم والرحمة.

وأمّا إنّه سبحانه يثيب عليه أحسن الثواب ويعاقب عليه أليم العقاب فلأنه مشتمل على جميع شرائع الإسلام وكليات الأحكام من الأصول والفروع، ومسائل الحلال والحرام فهو الميزان الذي يعرف به قدر طاعة المطيعين، ومعصية العاصين، وظهوره في صورة رجل شاحب: أي متغير من شحب جسمه إذا تغيّر قيل: لعله للغضب على المخالفين أو للاهتمام بشفاعة المؤمنين، كما ورد أنّ السقط يقوم محنبطاً على باب الجنة أو لإسماعه الوعد الشديد على من خالفه، وهو وإن كان لمستخفّيه إلّا أن لا يخلو من تأثير لمن يطلع عليه وهو بعيد، بل الأول أيضاً، ولعلّ الأقرب رجوعه إلى صورته التي هو عليها في نفسه، ولذا ينكره أهل الجمع إذ لم يعرفه أحد حقّ معرفته، ولم يتله حق تلاوته فلا يعرفونه حتى يرجع إلى صورته التي كانت في الخلق الأوّل، وأمّا أنّ الضعفاء من شيعتهم أهل تسليم فإنّهم وإن لم يعرفوا الحقائق الغامضة الكلية على ما هي عليها بالكشف والشهود واليقين إلّا أنّهم لوصولهم إلى مقام اليقين يقبلون كلّ ما سمعوا من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فيؤمنون بالغيب ولا يحصل لهم الشك والريب، وذكر شيخنا المجلسي -رحمه الله تعالى- في قوله عليه السلام أسمعك كلام القرآن وجوهاً على وجه الاحتمال:

الأوّل: أن تكلّم القرآن عبارة من إلقائه إلى السمع ما يفهم منه المعنى، وهذا هو معنى حقيقة الكلام فإنّه لا يشترط فيه أن يصدر من لسان لحمي، وكذا تكلم الصلاة فإنّ من أتى بالصلاة بحقّها وحقيقتها نهته الصلاة من متابعة أعداء الدين وغاصبي حقوق الأئمة الراشدين الذين من عرفهم عرف الله، ومن ذكرهم ذكر الله.

الثاني: أنّ لكلّ عبادة صورة ومثالاً تترتّب عليها آثار تلك العبادة، وهذه الصورة تظهر للناس في القيامة، فالمراد بقولهم عليهم السلام في موضع آخر: الصلاة رجل، أنّها في القيامة تتشكل بإزائها رجلاً يشفع لمن ترعاها حق

رعايتها، وفي الدنيا أيضاً لا يبعد أن يخلق الله بإزائها ملكاً أو خلقاً آخر من الروحانيين يسدّد من أتى بالصلاة حقّ إتيانها ويهديه إلى مراشده، وكذا في القرآن وسائر العبادات.

الثالث: ما أفيض عليّ ببركات الأئمة الطاهرين، وبه ينحلّ كثير من غوامض أخبار الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) وهو أنّه كما أنّ الجسد الانساني له حياة ظاهرية من جهة الروح الحيوانية المنبعثة من القلب الظاهري وبها يسمع ويبصر ويمشي وينطق ويحسّ فكذا له حياة معنوية من جهة العلم والإيمان، والطاعات فالإيمان ينبعث من القلب المعنوي ويسري في سائر الأعضاء فينوّر العين بنور آخر كما قال صلى الله عليه وآله: «**المؤمن ينظر بنور الله ويسمع بسمع آخر**».

وبالجملة يتصرّف الايمان في بدنه وعقله ونفسه ويملكه بأسره فلا يرى إلّا الحقّ ولا يسمع شيئاً من الحق إلّا فهمه وصدّقه ولا ينطق إلّا بالحق ولا يمشي إلّا للحق فالإيمان روح لذلك الجسد، ولذا قال تعالى في وصف الكفار: ﴿**أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْياءٍ**﴾[1] وقال: ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ**﴾[2] وما ذلك إلّا لذهاب نور الإيمان من قلوبهم وجوارحهم، وكذا الصلاة إذا كملت في شخص وأتى بها كما هو حقّها تصرّفت في بدنه ونوّرت قلبه وسمعه وبصره ولسانه، ومنعته عن اتباع الشهوات، وحثّته على الطاعات، وكذا سائر العبادات.

ثم إنّ القرآن ليس تلك النقوش، بل هو ما يدلّ عليه تلك النقوش، وإنما صار الخط وما ينقش عليه محترماً لدلالته على ذلك الكلام، والكلام إنما صار محترماً مكرماً لدلالته على المعاني التي أرادها الملك العلّام، فمن انتقش في قواه ألفاظ القرآن وفي عقله معناه واتصف بصفاته الحسنة على ما هي فيه، واحترز عمّا نهى الله عنه فيه واتعظ بمواعظه، وصيّر القرآن خلقه، وداوى به أدواءه، فهو أولى بالتعظيم والإكرام، ولذا ورد: «**إنّ المؤمن أعظم حرمة من الكعبة والقرآن**».

فإذا عرفت ذلك فاعلم أنه

(١) سورة النحل: الآية ٢١.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٨.

كما يطلق على الجسد لتعلُّق الروح والنفس به الإنسان، فكذا يجوز أن يطلق على البدن الذي إذا كمل فيه الإيمان، وتصرّف فيه وصار روحه أنّه إيمان، وكذا الصلاة والزكاة وسائر الطاعات، وهذا في القرآن أظهر لأنه قد انتقش بلفظه ومعناه واتصف بصفاته ومؤدّاه واحتوى عليه، وتصرّف في بدنه وقواه فحري أن يطلق عليه القرآن، فإذا عرفت ذلك ظهر لك سرّ الأخبار الواردة في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو كلام الله، وهو الايمان والإسلام والصلاة والزكاة، وقس على ذلك حال أعدائه، وما ورد أنّهم الكفر والفسوق والعصيان، وشرب الخمر والزنا وسائر المحارم لاستقرار تلك الصفات فيهم، بحيث صارت أرواحهم الخبيثة، فلا يبعد أن يكون المراد بالصورة التي يأتي في القيامة هو أمير المؤمنين عليه السلام، فيشفع لمن قرأ القرآن لأنه روحه، ولا يعمل بالقرآن إلَّا من يتولَّاه، وينادي القرآن بلعن من عاداه، ثم ذكر عليه السلام لرفع الاستبعاد أنّ الصلاة رجل وهو أمير المؤمنين فهو ينهى الناس عن متابعة من كمل فيه الفحشاء والمنكر يعني الرجلين.

وعلى هذا لا يبعد أن يكون قوله عليه السلام: «أسمعك كلام القرآن»، أشار به إلى أنّه عليه السلام أيضاً القرآن وكلامه كلام القرآن [1]، انتهى كلامه -زيد في الخلد مقامه-.

وإنّما ذكرناه بطوله لحسن مفاده وجودة محصوله مع أنّ في كلامه كسراً لسورة إنكار أهل العناد الذين ينسبون أهل الحقّ إلى الإلحاد، وأنّ الله لهم بالمرصاد، وهو الهادي إلى سبيل الرشاد.

[تفسير الصراط المستقيم]

(١) بحار الأنوار طبع الآخوندي: ج ٧، ص ٣٢٢ - ٣٢٤.

سورة العلق

قوله تعالى:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾

قال الراغب: والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يُقال ذلك لكلّ جمع، لا يقال: قرأت القوم إذا جمعتهم، ويدلّ على ذلك أنه لا يقال: للحرف الواحد إذا تفوه به: قراءة انتهى.

العلامة الطباطبائي

وعلى أي حال، يُقال: قرأت الكتاب إذا جمعت ما فيه من الحروف والكلمات بضم بعضها إلى بعض في الذهن وإن لم تتلفظ بها، ويُقال: قرأته إذا جمعت الحروف والكلمات بضم بعضها إلى بعض في التلفّظ، ويُقال: قرأته عليه إذا جمعت بين حروفه وكلماته في سمعه، ويطلق عليها بهذا المعنى التلاوة أيضاً، قال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ (البينة: ٢).

وظاهر إطلاق قوله: ﴿اقْرَأْ﴾ المعنى الأول والمراد به الأمر بتلقي ما يوحيه إليه ملك الوحي من القرآن فالجملة أمر بقراءة الكتاب وهي من الكتاب كقول القائل في مفتتح كتابه لمن أرسله إليه: اقرأ كتابي هذا واعمل به، فقوله هذا أمر بقراءة الكتاب وهو من الكتاب.

وهذا السياق يؤيد أولاً ما ورد أن الآيات أول ما نزل من القرآن على النبي صلى الله عليه وآله.

وثانياً: أن التقدير اقرأ القرآن أو ما في معناه، وليس المراد مطلق القراءة باستعمال (اقرأ) استعمال الفعل اللازم بالإعراض عن المفعول، ولا المراد القراءة على الناس بحذف المتعلّق، وإن كان ذلك من أغراض النزول كما قال: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا﴾ (الإسراء: ١٠٦)، ولا أن قوله: ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ مفعول ﴿اقْرَأْ﴾، والباء زائدة والتقدير اقرأ اسم ربك أي بسمل.

وقوله: ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ متعلّق بمقدر نحو: مفتتحاً ومبتدئاً أو باقرأ والباء للملابسة ولا ينافي ذلك كون البسملة المبتدئة بها السورة جزء من السورة فهي من كلام الله افتتح سبحانه بها، وأمر أن يقرأ مبتدئاً بها كما أمر أن يقرأ قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ﴾، ففيه تعليم بالعمل نظير الأمر بالاستثناء في قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۞ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ (الكهف:٢٣ – ٢٤) فافهم ذلك.

وفي قوله: ﴿رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إشارة إلى قصر الربوبية في الله عز اسمه، وهو توحيد الربوبية المقتضية لقصر العبادة فيه، فإنّ المشركين كانوا يقولون: إن الله سبحانه ليس له إلّا الخلق والإيجاد، وأمّا الربوبية وهي الملك والتدبير فلمقربي خلقه من الملائكة والجن والإنس فدفعه الله بقوله: ﴿رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الناص على أن الربوبية والخلق له وحده.

[الميزان في تفسير القرآن]

انتساب الادراك والتعقّل إلى القلب

الشيخ محمّد جواد البلاغي

إنّ القرآن الكريم كثيراً ما ينسب التعقّل والإدراك والاهتداء ونحو ذلك إلى القلب، والمتجدّدون ينسبون الإدراك وآثاره إلى الدماغ ويعتمدون في حدسهم في ذلك على أنهم رأوا تلافيف الدماغ أي عقده في الإنسان أكثر منها في سائر الحيوانات، وإن الأعصاب الجمجمية المتصلة بظاهر الدماغ والمنتشرة أليافها في باطنه مرتبطة بأعصاب آلات الحس كالأذن والعين وغيرهما: ولكن مباحث التشريح تقف دون حدسهم هذا. فإنّ المجموع العصبي والنخاع الممتد إلى الفقرة القطنية الأولى التي هي تحت الفقرة الثانية عشرة من الظهر هذه كلها كمخ الدماغ في كونها مكوّنة من الجوهر السنجابي والجوهر الأبيض فلا ميزة لتكوين الدماغ لكي يحدس امتيازه عنها بكونه كرسي الإدراك والتعقل دونها. وإن الأعصاب كما ترتبط بآلات الحس ترتبط أيضاً بالقلب والكبد والمعدة، بل حتّى الأسنان وأعضاء البدن إلى أنامل اليدين والرجلين.

وأمّا ما يتراءى من أن صغر الدماغ يقارن ضعف الإدراك والتعقّل إلى أن يصل الحال إلى البله فلا يدلّ على مدّعاهم، بل يجوز أن يكون خروجه عن المقدار الطبيعي للإنسان ككثير من العوارض البدنية موجباً لضعف الجزء الآخر العاقل في أداء وظيفته.

وأمّا التفاوت بين أدمغة الرجال وبين أدمغة النساء فهو جار في قلوب الصنفين أيضاً. هذا مع أنّ الدماغ يزيد نموه في زمان قلة القوة العاقلة إلى السنة السابعة، ثمّ ينمو بطيئاً إلى الرابعة عشرة ويتقهقر نموه إلى العشرين ومنها إلى الثلاثين ويقف عند الأربعين، ثمّ ينقص وزنه في كل عشر سنين نحو أوقية مع أنّ الإنسان من العشرين فما زاد يزداد في قوة التعقل ويترقى في كونه أقوى وأحسن تعقلاً وإدراكاً. والقلب لا يزال يأخذ بالنمو والزيادة إلى الأدوار الأخيرة من الحياة ولا سيما في الذكور. وهذا أنسب بأزمنة حسن التعقّل وجودة الإدراك. مضافاً إلى أنّ القلب هو مبدئ الحركة الحيوية المديرة للدورة الدموية وأسباب الحياة والنمو وتوزيع القوى على جميع أجزاء البدن فهو أنسب من غيره بأن تستخدمه الروح الحيوانية في أعمالها العقلية. وأيضاً أنّ بناء القلب مؤلّف من حلقات ليفية وألياف عضلية وكلّها على نوع مدهش من التغمم والتصالب والتشبك بحيث يقال إنّ البناء العضلي للقلب لم يعرف كما ينبغي إلى الآن. وإنّ بناء القلب وألياف العضلية أكثر وأكثر تضمماً وتصالباً وتشبكاً من البناء الذي امتازت به عضلات الحياة الحيوانية الحساسة للإرادة التي هي من أعمال النفس والممتثلة في أعمالها لأمرها. وهذا كلّه يشير إلى أنّ لعضلة القلب وميزة بنائه عملاً نفسياً كبيراً فائقاً يفوق ما ذكر لعضلات الحياة الحيوانية، وأنسب ما يكون بذلك هو الإدراك والتعقل. نعم يمكن أن يكون الدماغ محفظة لصور المدركات التي يستودعها القلب إياه.

وخلاصة الحجة في ذلك هو أنّ وجوه الإعجاز في القرآن الكريم حجة على أنه منزل من الله خالق القلب والدماغ بعلمه وحكمته، وقد أخبر بأنّ محلّ الإدراك والتعقّل وآثاره هو القلب.

[آلاء الرحمن في تفسير القرآن: ج١]

أوراق وردية

التفرقة بين استتار النبي والإمام في أداء المهمة والحاجة إليه

السيد الشريف المرتضى

قيل: النبي ﷺ ما استتر عن قومه إلا بعد أدائه إليهم ما وجب أداؤه، ولم تتعلق بهم إليه حاجة، وقولكم في الإمام بخلاف ذلك.

ولأن استتاره ﷺ ما تطاول ولا تمادى، واستتار إمامكم قد مضت عليه العصور وانقضت دونه الدهور!

قلنا: ليس الأمر على ما ذكرتم؛ لأن النبي ﷺ إنما استتر في الشعب والغار بمكة، وقبل الهجرة، وما كان أدى ﷺ جميع الشريعة، فإن أكثر الأحكام ومعظم القرآن نزل بالمدينة، فكيف ادعيتم أنه كان بعد الأداء؟!

ولو كان الأمر على ما زعمتم من تكامل الأداء قبل الاستتار: لما كان ذلك رافعا للحاجة إلى تدبيره عليه السلام، وسياسته، وأمره في أمته ونهيه.

ومن هذا الذي يقول: إن النبي ﷺ بعد أداء الشرع غير محتاج إليه، ولا مفتقر إلى تدبيره، إلا معاند مكابر؟!

وإذا جاز استتاره عليه السلام - مع تعلق الحاجة إليه - لخوف الضرر، وكانت التبعة في ذلك لازمة لمخيفية ومحوجية إلى التغيب، سقطت عنه اللائمة، وتوجهت إلى من أحوجه إلى الاستتار وألجأه إلى التغيب.

وكذلك القول في غيبة إمام الزمان عليه السلام.

[المقنع في الغيبة: ص٥٣]

تفسير أسماء الله الحسنى

الشيخ تقي الدين الكفعمي

الرحمن الرحيم

قال الشهيد: هما اسمان للمبالغة من رحم، كغضبان من غضب وعليم من علم، والرحمة لغة: رقّة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان، ومنه: الرحم، لانعطافها على ما فيها، وأسماء الله تعالى إنّما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي هي انفعال[1] [2].

وقال صاحب العدّة: الرحمن الرحيم مشتقّان من الرحمة وهي النعمة، ومنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[3] أي: نعمة، ويقال للقرآن رحمة وللغيث رحمة، أي: نعمة، وقد يتسمّى بالرحيم غيره تعالى ولا يتسمّى بالرحمن سواه، لأن الرحمن هو الذي يقدر على كشف الضر والبلوى، ويقال لرقيق القلب من الخلق: رحيم، لكثرة وجود الرحمة منه بسبب الرقة، وأقلها الدعاء للمرحوم والتوجع له، وليست في حقّه تعالى كذلك، بل معناها إيجاد النعمة للمرحوم وكشف البلوى عنه، فالحدّ الشامل أن تقول: هي التخلص من أقسام الآفات، وإيصال الخيرات إلى أرباب الحاجات[4].

وفي كتاب الرسالة الواضحة[5]: أنّ

(١) القواعد والفوائد: ج٢، ١٦٦ـ ١٦٧.

(٢) (٢٤) في هامش (ر): «وقال السيد المرتضى: ليست الرحمة عبارة عن رقّة القلب والشفقة، وإنّما هي عبارة عن الفضل والإنعام وضروب الإحسان، فعلى هذا يكون إطلاق لفظ الرحمة عليه تعالى حقيقة وعلى الأول مجازاً. منه تعالى».

(٣) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٤) عدّة الداعي: ٣٠٣ ـ ٣٠٤، باختلاف.

(٥) الرسالة الواضحة في تفسير سورة الفاتحة،

الرحمن الرحيم من أبنية المبالغة، إلّا أنّ فعلان أبلغ من فعيل، ثم هذه المبالغة قد توجد تارة باعتبار الكمّية، وأُخرى باعتبار الكيفية:

فعلى الأول قيل: يا رحمن الدنيا ـ لأنّه يعمّ المؤمن والكافر ـ ورحيم الآخرة لأنه يخص الرحمة بالمؤمنين، لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1].

وعلى الثاني قيل: يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا، لأنّ النعم الأُخروية كلّها جسام، وأمّا النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة.

وعن الصادق عليه السلام: «الرحمن اسم خاصّ بصفة عامة، والرحيم اسم عامّ بصفة خاصة»[2].

وعن أبي عبيدة: الرحمن ذو الرحمة، والرحيم الراحم، وكرر لضرب من التأكيد[3].

وعن السيد المرتضى: أن الرحمن مشترك فيه اللغة العربية والعبرانية والسريانية، والرحيم مختصّ بالعربية.

قال الطبرسي: وإنّما قدّم الرحمن على الرحيم، لأن الرحمن بمنزلة الاسم العلم، من حيث أنه لا يوصف به إلّا الله تعالى، ولهذا جمع بينهما تعالى في قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾[4] فوجب لذلك تقديمه على الرحيم، لأنه يطلق عليه وعلى غيره[5].

الملك

التامّ الملك، الجامع لأصناف المملوكات، قاله البادرائي في جواهره.

وقال الشهيد: الملك المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين، أو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود، ويحتاج إليه كلّ موجود في ذاته وصفاته[6].

والملكوت: ملك الله، زيدت فيه التاء كما زيدت في رهبوت ورحموت، من الرهبة والرحمة.

[المقام الأسنى في تفسير الأسماء الحسنى]

للمصنف الشيخ علي بن إبراهيم الكفعمي: مخطوطة.

(١) سورة الأحزاب: ٤٣.

(٢) مجمع البيان: ج١، ص٢١.

(٣) يُنظر: مجمع البيان: ج١، ص٢٠.

(٤) سورة الإسراء: ١١٠.

(٥) مجمع البيان: ج١، ص٢١، باختلاف.

(٦) القواعد والفوائد: ج٢، ١٦٧.

آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري

مما تفرّدت به الإمامية عن سائر الفرق القول بالأمر بين الأمرين والمنزلة بين المنزلتين فقد ورد عن الأئمة الهداة (سلام الله عليهم) أنه «**لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين أمرين**» وهو الحق المطابق للوجدان والبرهان.

والمراد بـ(الأمر بين الأمرين) أن الله تبارك وتعالى أودع القدرة في عباده وبها بعد وجود الدواعي يصدر الفعل من الفاعل وينسب الفعل إليه مباشرة، فهو غير مجبور، لتعلق قدرته بطرفي الفعل معاً، هذا هو المعنى المستفاد من الأخبار الواردة في (الأمر بين الأمرين)، ولا بد من توضيح ذلك بشيء من التفصيل.

بيان ذلك: إنّ أفعال العباد

منحصرة في ثلاثة أقسام: فهي إما من الحسنات، أو من السيئات، أو من المباحات. ولا ريب في أن الأمر بين الأمرين متقوم بالانتساب اليه تعالى، وإلى العباد انتساباً يحكم بصحته العقلاء، ومن رضائه تعالى بالحسنات وترغيبه إليها والتأكيد في إتيانها والثواب عليها أو العقاب على الترك في بعضها يصح الانتساب إليه تعالى، ويسمى ذلك بالانتساب الاقتضائي لا يبلغ حد الإلجاء والاضطرار، ومن إذنه تعالى في المباحات وترخيصه لها صح انتسابه اليه تعالى اقتضاء كما هو الحال في الحسنات، فتحقق بالنسبة إلى الحسنات والمباحات رضاؤه وقضاؤه تعالى إليها.

ومن خلقه تعالى للنفس الأمارة والشيطان صح نسبة السيئات اليه تعالى، لا بمعنى رضائه بها وترغيبه إليها فيصح نسبة الخلق التسبيبي إليه تعالى في السيئات، ويجري هذا الوجه في الحسنات والمباحات فإن هذه النسبة توجد في الجميع.

وأما نسبة الفعل إلى الفاعل فإنّ الله تعالى خلق الذات المختارة القادرة على السيئات مثلا مع نهيه تعالى وإظهار سخطه وتوعيده عليها وقد فعلها العبد بسوء اختياره، فينسب إليه الفعل مباشرة كما أن منشأ النسبة إليه تعالى أنه خلق الذات القادرة المختارة مع إبلاغ النهي والتوعيد، وقد علم بها وقضاها على نحو الاقتضاء لا قضاء الحتم ولا منقصة في هذا القسم من النسبة أبداً، ولعل هذا أحد معاني قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَا لِهَؤُلاءِ القَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾ (سورة النساء، الآية: ٧٨).

وبعبارة أخرى: إنّ في الحسنات والمباحات تتعدد جهة الانتساب اليه تعالى من الرضاء والقضاء، والاذن والترغيب، أو خلق الذات القادرة المختارة، وفي السيئات منحصرة بخصوص الأخيرة والقضاء الاقتضائي مع النهي والتوعيد، كل ذلك موافق لقانون العقل والعدل. ومن ذلك يعلم أن الهداية والضلالة، بل السعادة والشقاوة ليستا من ذاتيات العبد بحيث لا اختيار له فيها، ولا من

لوازم الذات كلزوم الزوجية للأربعة وإلّا لما كانت قابلة للتغيير والتبديل، ولبطل التكليف والثواب والعقاب ونحو ذلك من المحاذير، بل هي من قبيل الأعراض الخارجية القابلة للزوال والتغيير والتي للاختيار فيها دخل مع توفيق وهداية منه تبارك وتعالى.

ومما ذكرناه يجاب عن شبهات القوم، ويرفع التعارض بين الآيات والروايات، ولعلماء الإمامية في تفسير الأمر بين الأمرين وجوه أخرى فراجع.

بحث روائي:

عن الباقر والصادق عليهما السلام قالا: «**إن الله أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليها، والله أعزّ من أن يريد أمرا فلا يكون**».

وسئلا عليهما السلام «هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قالا: **نعم أوسع مما بين السماء والأرض**».

وعن الوشا قال: «سألت الرضا عليه السلام الله فوض الأمر إلى العباد؟ قال عليه السلام: **الله اعزّ من ذلك**. قلت: فجبرهم على المعاصي؟ قال: **الله أعدل وأحكم من ذلك**، ثم قال عليه السلام قال الله تعالى: **يا بن آدم أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك**».

أقول: هذه الجملة الأخيرة صريحة في ما ذكرناه آنفا.

وعن الصادق عليه السلام قال له رجل: «جعلت فداك أجبر الله تعالى العباد على المعاصي؟ قال عليه السلام: **الله أعدل من أن يجبرهم على المعاصي ثم يعذبهم عليها**. فقال له: جعلت فداك ففوض الله إلى العباد ؟ قال عليه السلام: **لو فوض إليهم لم يحصرهم بالأمر والنهي**. فقال له: جعلت فداك فبينهما منزلة؟ قال: **نعم أوسع ما بين السماء والأرض**».

أقول: (لم يحصرهم) أي لم يوقعهم في حصر التكليف فيكون نفس تصور التكليف بما هو، وبيان الجزاء عليه كافيا في نفي الجبر والتفويض وإثبات الأمر بين الأمرين. وهذه عادتهم عليهم السلام في إثبات هذا المدعى

بأدلة التكليف والجزاء.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام القائل في جواب من سأله عن التوحيد والعدل: «**التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمه. فالقائل بأنه خالق للأفعال فقد اتهمه بالظلم، والقائل بأنه يكلف العباد ما لا يطيقون فقد نسب اليه القبيح، والقائل بأنه لا يقدر على أعمال عباده وان كل أعمالهم بإرادتهم ولا شأن له فيها قد اتهمه بالعجز**».

أقول: الأول عبارة عن الجبر، والثاني من لوازم التفويض وترتب اللازمين عليهما واضح.

وعن الرضا عليه السلام: «**ألا أعطيكم في ذلك أصلا لا تختلفون فيه ولا تخاصمون عليه أحدا إلّا كسرتموه ؟ إن الله عزّ وجل لم يطع بالإكراه، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه فهو المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعته، لم يكن عنها صادرا، ولا منها مانعا، وإن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وان لم يحل وفعلوا فليس هو الذي أدخلهم فيه**».

أقول: المراد أن إرادة الصرف عن مراد العبد من الله تعالى وهو محسوس لكل أحد، فكم من مريد لشيء يصرف عن إرادته وكم غير مريد يصادفه ما يشتهيه وهذه هي المنزلة بين المنزلتين.

[مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ج١، ص١٣٧]

الإمام المهدي (عليه السلام)

آية الله السيد علي الحسيني الميلاني

بحثنا حول المهدي سلام الله عليه يكون في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: فيما يتعلّق بأصل الاعتقاد، وما عليه الشيعة الإمامية الاثنا عشرية.

وفي هذا الفصل نحاول أن نستدلّ بأدلّة مشتركة بين عموم المسلمين، وأقصد من عموم المسلمين الشيعة الإمامية الاثني عشرية وأهل السنة بجميع مذاهبهم.

في هذا الفصل نقاط وهي نقاط الاشتراك بين الجميع:

النقطة الأولى: لا خلاف بين المسلمين في أن لهذه الأمة مهدياً، وأن رسول الله ﷺ قد أخبر به وبشر به وذكر له أسماء وصفات وألقاباً وغير ذلك، والروايات الواردة في كتب الفريقين حول هذا الموضوع أكثر وأكثر من حد التواتر، ولذا لا يبقى خلاف بين المسلمين في هذا الاعتقاد، ومن اطلع على هذه الأحاديث وحققها وعرفها، ثم كذب أهل هذا الموضوع مع الالتفات إلى هذه الناحية، فقد كذب رسول الله ﷺ فيما أخبر به.

الروايات الواردة في طرق الفريقين وبأسانيد الفريقين موجودة في الكتب وفي الصحاح والسنن والمسانيد، وأُلّفت لهذه الروايات كتب خاصة دون فيها العلماء من الفريقين تلك الروايات في تلك الكتب، وهناك آيات كثيرة من القرآن الكريم مؤولة بالمهدي سلام الله عليه.

وحينئذ لا يعبأ ولا يعتنى بقول شاذ من مثل ابن خلدون المؤرخ، حتى أن بعض علماء السنة كتبوا ردودا على رأيه في هذه المسألة.

ومن أشهر المؤلفين والمدونين لأحاديث المهدي سلام الله عليه من أهل السنة في مختلف القرون:

أبو بكر بن أبي خيثمة، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ. نعيم بن حماد المروزي، المتوفى سنة ٢٨٨ هـ.

أبو حسين بن منادي، المتوفى سنة ٣٣٦ هـ. أبو نعيم الاصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ.

أبو العلاء العطار الهمداني، المتوفى سنة ٥٦٩ هـ. عبد الغني المقدسي، المتوفى سنة ٦٠٠ هـ.

ابن عربي الأندلسي، المتوفى سنة ٦٣٨ هـ. سعد الدين الحموي، المتوفى سنة ٦٥٠ هـ.

أبو عبد الله الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨ هـ. يوسف بن يحيى المقدسي، المتوفى سنة ٦٥٨ هـ.

ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٦٨٥ هـ. ابن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤ هـ.

جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ. شهاب الدين بن حجر المكي، المتوفى سنة ٩٧٤ هـ.

علي بن حسام الدين المتقي الهندي، المتوفى سنة ٩٧٥ هـ. نور الدين علي القاري الهروي، المتوفى سنة ١٠١٤ هـ.

محمد بن علي الشوكاني القاضي، المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ. أحمد بن صديق الغماري، المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ.

وهؤلاء أشهر المؤلّفين في أخبار المهدي منذ قديم الأيام، وفي عصرنا أيضاً كتب مؤلّفة من قبل كتاب هذا الزمان، لا حاجة إلى ذكر أسماء تلك الكتب.

وهناك جماعة كبيرة من علماء أهل السنة يصرّحون بتواتر حديث المهدي والأخبار الواردة حوله، وبصحة تلك الأحاديث في الأقل، ومنهم:

الترمذي، صاحب الصحيح. محمد بن حسين الأبري، المتوفى سنة ٣٦٣ هـ. الحاكم النيسابوري، صاحب المستدرك. أبو بكر البيهقي، صاحب السنن الكبرى. الفراء البغوي محيي السنة.

ابن الأثير الجزري. جمال الدين المزي. شمس الدين الذهبي.

نور الدين الهيثمي. ابن حجر العسقلاني. وجلال الدين السيوطي.

إذن، لا يبقى مجال للمناقشة في أصل مسألة المهدي في هذه الأمة.

النقطة الثانية: إنه لا بد في كل زمان من إمام يعتقد به الناس أي المسلمون، ويقتدون به، ويجعلونه

حجة بينهم وبين ربهم، وذلك: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ﴾[1] و: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[2] و: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[3].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام كما في نهج البلاغة: «**اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إمّا ظاهراً مشهوراً وإمّا خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيناته**»[4].

والروايات الواردة في هذا الباب أيضاً كثيرة، ولا أظن أنّ أحداً يجرؤ على المناقشة في أسانيد هذه الروايات ومداليلها، إنها روايات واردة في الصحيحين، وفي المسانيد، وفي السنن، وفي المعاجم، وفي جميع كتب الحديث والروايات، وهذه مقبولة عند الفريقين.

فقد اتفق المسلمون على رواية: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

هذا الحديث بهذا اللفظ موجود في بعض المصادر، وقد أرسله سعد الدين التفتازاني إرسال المسلم، وبنى عليه بحوثه في كتابه شرح المقاصد[5].

ولهذا الحديث ألفاظ أخرى قد تختلف بنحو الاجمال مع معنى هذا الحديث، إلّا أني أعتقد بأن جميع هذه الألفاظ لا بد وأن ترجع إلى معنى واحد، ولا بد من أن تنتهي إلى مقصد واحد يقصده رسول الله صلى الله عليه وآله.

فمثلاً في مسند أحمد: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»[6]، وكذا في عدة من المصادر: كمسند أبي داود الطيالسي، وصحيح ابن حبان، والمعجم الكبير للطبراني، وغيرها.

وعن بعض الكتب إضافة بلفظ: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً**»، وقد نقله بهذا اللفظ بعض العلماء عن كتاب (المسائل الخمسون) للفخر الرازيّ.

وله أيضاً ألفاظ أخرى موجودة

(١) سورة النساء: الآية ١٦٥.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٢.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.
(٤) نهج البلاغة: ج٣، ص١٨٨.
(٥) شرح المقاصد: ج٥، ص٢٣٩.
(٦) مسند أحمد: ج٥، ص٦١.

في السنن، وفي الصحاح، وفي المسانيد أيضاً، نكتفي بهذا القدر، ونشير إلى بعض الخصوصيات الموجودة في لفظ الحديث: «من مات ولم يعرف»، لا بد وأن تكون المعرفة هذه مقدمة للاعتقاد، «**من مات ولم يعرف**» أي: من مات ولم يعتقد بإمام زمانه، لا مطلق إمام الزمان، بإمام زمانه الحق، بإمام زمانه الشرعي، بإمام زمانه المنصوب من قبل الله سبحانه وتعالى. «**من مات ولم يعرف إمام زمانه**» بهذه القيود «مات ميتة جاهلية»، وإلّا لو كان المراد من إمام الزمان أي حاكم سيطر على شؤون المسلمين وتغلّب على أمور المؤمنين، لا يكون معرفة هكذا شخص واجبة، ولا يكون عدم معرفته موجباً للدخول في النار، ولا يكون موته موت جاهلية، هذا واضح.

إذن، لا بدّ من أن يكون الإمام الذي تجب معرفته إمام حق، وإماماً شرعياً، فحينئذٍ، على الإنسان أن يعتقد بإمامة هذا الشخص، ويجعله حجّة بينه وبين ربّه، وهذا واجب، بحيث لو أنه لم يعتقد بإمامته ومات، يكون موته موت جاهلية، وبعبارة أخرى: «فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً».

وذكر المؤرّخون: أن عبد الله بن عمر، الذي امتنع من بيعة أمير المؤمنين سلام الله عليه، طرق على الحجاج بابه ليلاً ليبايعه لعبد الملك، كي لا يبيت تلك الليلة بلا إمام، وكان قصده من ذلك هو العمل بهذا الحديث كما قال، فقد طرق باب الحجاج ودخل عليه في تلك الليلة وطلب منه أن يبايعه قائلاً: سمعت رسول الله يقول: «**من مات ولا إمام له مات ميتة جاهلية**»، لكن الحجّاج احتقر عبد الله بن عمر، ومد رجله وقال: بايع رجلي، فبايع عبد الله بن عمر الحجاج بهذه الطريقة. وطبيعي أن من يأبى البيعة لمثل أمير المؤمنين عليه السلام يُبتلى في يوم من الأيام بالبيعة لمثل الحجّاج وبهذا الشكل.

وكتبوا بترجمة عبد الله بن عمر، وفي قضاياه الحرة، بالذات، تلك الواقعة التي أباح فيها يزيد بن معاوية المدينة المنورة ثلاثة أيام، أباحها

لجيوشه يفعلون ما يشاؤون، وأنتم تعلمون ما كان وما حدث في تلك الواقعة، حيث قتل عشرات الآلاف من الناس، والمئات من الصحابة والتابعين، وافتضت الأبكار، وولدت النساء بالمئات من غير زوج.

في هذه الواقعة أتى عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع، فقال عبد الله بن مطيع: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لكي أجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»[1].

فقضية وجوب معرفة الإمام في كل زمان والاعتقاد بإمامته والالتزام ببيعته أمر مفروغ منه ومسلم، وتدل عليه الأحاديث، وسيرة الصحابة، وسائر الناس، ومنها ما ذكرت لكم من أحوال عبد الله بن عمر الذي يجعلونه قدوة لهم، إلّا أن عبد الله بن عمر ذكروا أنه كان يتأسّف على عدم بيعته لأمير المؤمنين عليه السلام، وعدم مشاركته معه في القتال ضد الفئة الباغية، وهذا موجود في المصادر، فراجعوا الطبقات لابن سعد[2] والمستدرك للحاكم[3] وغيرهما من الكتب.

وعلى كلّ حال لسنا بصدد الكلام عن عبد الله بن عمر أو غيره، وإنما أردت أن أذكر لكم نماذج من الكتاب والسنة وسيرة الصحابة على أن هذه المسألة -مسألة أن في كل زمان ولكل زمان إماماً لا بدّ وأن يعتقد المسلمون بإمامته ويجعلوه حجة بينهم وبين ربهم- من ضروريات عقائد الإسلام.

النقطة الثالثة: إن المهدي من الأئمة الاثني عشر في حديث الأئمة بعدي اثنا عشر، لا ريب ولا خلاف في هذه الناحية، فإن القيود التي ذكرت في رواية الأئمة اثنا عشر، تلك القيود كلها منطبقة على المهدي

(١) صحيح مسلم: ج٣، ص ١٤٧٨.

(٢) طبقات ابن سعد: ج٤، ص١٨٥ و١٨٧. وفيه: «ما أجدني آسى على شيء من أمر الدنيا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية، ما آسى عن الدنيا إلا على ثلاث ظمأ الهواجر ومكابدة الليل وألا أكون قاتلت الفئة هذه الفئة الباغية التي حلت بنا».

(٣) مستدرك الحاكم: ج٣، ص٥٥٨.

سلام الله عليه، لأن هذا الإمام عندما يظهر يجتمع الناس على القول بإمامته، وأن الله سبحانه وتعالى سيعز الإسلام بدولته، وأنه سيظهر دينه على الدين كله، وجميع تلك القيود والمواصفات التي وردت في أحاديث الأئمة اثنا عشر كلها منطبقة على المهدي عليه السلام.

وببالي أني رأيت في بعض الكتب التي حاولوا فيها ذكر الخلفاء بعد رسول الله من بني أمية وغيرهم، يعدون المهدي أيضا من أولئك الخلفاء الاثني عشر، الذين أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الأحاديث التي درسناها في الليلة الماضية.

وإلى الآن عرفنا الاتفاق على ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: أن في هذه الأمة مهديا.

النقطة الثانية: أن لكل زمان إماما يجب على كل مسلم معرفته والإيمان به.

النقطة الثالثة: أن المهدي عليه السلام الذي أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الأحاديث الكثيرة، نفس المهدي الذي يكون الإمام الثاني عشر من الأئمة الذين أخبر عن إمامتهم من بعده في أحاديث الأئمة اثنا عشر.

وإلى الآن عرفنا المشتركات بين المسلمين، فإنه إلى هنا لا خلاف بين طوائف المسلمين، ويكون المهدي حينئذ أمرا مفروغا منه ومسلما في هذه الأمة، والمهدي هو الثاني عشر من الأئمة الاثني عشر، فهو الإمام الحق الذي يجب معرفته والاعتقاد به، وأن من مات ولم يعرف المهدي مات ميتة جاهلية.

وهنا قالت الشيعة الإمامية الاثنا عشرية: إن الذي عرفناه مصداقاً لهذه النقاط هو ابن الحسن العسكري، ابن الإمام الهادي، ابن الإمام الجواد، ابن الإمام الرضا، ابن الإمام الكاظم، ابن الإمام الصادق، ابن الإمام الباقر، ابن الإمام السجاد، ابن الحسين الشهيد، ابن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم أجمعين.

فهذه عقيدة الشيعة، فهم يطبقون تلك النقاط الثلاثة المتفق عليها على هذا المصداق.

[الإمام المهدي عليه السلام]

إنّ السعادة هي عنوان إجمالي لما يرجوه الإنسان لنفسه في هذه الحياة، فهي غاية يعمل ويجهد كلّ فرد في سبيل تحقيقها، وحقيقتها -في الواقع- الراحة النفسية والالتذاذ بالأشياء.

فكلُّ إنسان بما أنّه يتألّم من بعض الأشياء ويلتذّ ببعض آخر، فمن الطبيعي أن يطلب ما يلتذّ به ويحذر ممّا يتألّم منه، وهذا هو شأن عامّة الكائنات الحية التي تملك إحساساً.

إلّا أنّ الإنسان ـ من خلال ما جُهّز به من قوّة التعقّل والتفكير ـ يمتاز بأنّه يستطيع توقّع المستقبل، فيتمكّن بالتالي من ضبط سلوكيّاته وأفعاله بما يحقّق له مزيداً من السعادة بالنظر الكلي، فربّما تجده يقاسي ألماً ومعاناةً في حاضره ليدفع ألماً أكبر في مستقبله، كما يمتاز بتمكّنه من استنباط طرقٍ لكسب الراحة واللذة ودفع النكد والعناء، والتفنّن في ذلك، مثل ما يصنعه من الأطعمة والألبسة والأبنية والآلات والأدوات.

انقسام السعادة إلى مادية ومعنوية

وينبغي أن يلتفت الباحث إلى أنّ

السعادة على ضربين:

الأول: السعادة المادية، وهي تحصيل الرغبات الفطرية الاعتيادية التي فُطر عليها الإنسان مِن الطعام والشراب، والنوم، والزواج، والأمومة والأبوة، والاطلاع، والجاه، والراحة، والصحة، والشغل، والبقاء، والتجمّل.

الثاني: السعادة المعنوية، وهي تحصل بأمور وجدانيّة ونفسيّة، مثل الأمل، والأنس، والقناعة، وغيرها.

وذلك لأنّ الإنسان ليس محصوراً بمجموعة من الغرائز؛ لتنحصر سعادته في إرضائها والاستجابة، بل إنّ له أبعاداً وجدانية وروحية عميقة، متى عاش الاستقرار من جهتها شعر بالراحة والطمأنينة والسكينة، فكان ذلك أسعد له في ذات نفسه، بل مساعداً على مزيد شعوره بالسعادة المادية فيما يجده من إمكانات حياته، بما لا يجده الآخرون ممّن يملك أضعاف تلك الإمكانات.

فنحن نرى ـ مثلاً ـ أنّ عائلة ريفيّة قد تعيش السعادة البالغة بمقوّماتٍ مادية قليلة، بينما هناك عوائل مترفة تعيش الهموم والنكد والاضطراب والقلق رغم كثرة إمكاناتها، وقد جاء في تقريرٍ يقارن بين السعادة المعنوية في الهند وبعض البلاد الغنية أنّ كثيراً من الفقراء في الهند يعيشون سعادة نفسية أكبر من سعادة بعض الطبقات المرفّهة في الدول الغنية.

وعليه: فلا يصح أن تُحصر مقومات السعادة بالأسباب المادية.

يضاف إلى ذلك: أنّ السعادة المعنوية بنفسها تستتبع كثيراً من وجوه السعادة المادية، من حيث درئها لمخاطر جمة عن الإنسان، وتأثيرها على الصحة النفسية، والتي تساعد بدورها على الصحة الجسدية على ما سنوضّحه، بل يمكن القول: إنّ حقيقة السعادة حالة نفسية وروحية فحسب؛ لأنّها لا تزيد على نحوٍ من الشعور بالراحة واللذة، إلّا أنّ للأمور المادية دوراً غير مباشر من حيث تأمين السعادة النفسية، ومن هنا لو توهّم الإنسان واقعاً مادياً سعيداً من غير

أن يوجد هذا الواقع في الخارج لكان سعيداً، مثل من يعتقد أنّه سوف يبقى حيّاً رغم ابتلائه بمرض عضال لا يعلمه، أو يعتقد أنّه يأكل الطعام الذي يشتهيه خطأ، أو يعتقد أنّه يشرب الدواء الذي يحتاجه بينما لا يكون ما يشربه ذاك الدواء.. وهكذا.

ويصدق العكس أيضاً؛ فيشقى من يعتقد أنّه مبتلى بمرض عضال، أو أنّ أمواله قد تلفت، أو أنّ ما يتناوله سمّ حتى لو كان ذلك كلّه خطأ، انطباعان عن علاقة الدين بالسعادة.

ونأتي هنا لنتساءل عن علاقة الدين بالسعادة في هذه الحياة، فإنّ الناظر في النصّ الديني القرآني يلاحِظ أنّ الدين لا يقف أمام تحصيل الإنسان للسعادة، بل إنّ هذه النصوص تدلّ على أنّ الله سبحانه قد استخلف الإنسان في الأرض، وسخّر له ما فيها وما عليها وما حولها، لينتفع بإمكاناتها، ويستكشف قوانينها؛ فيستثمرها، قال عزّ من قائل: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾.

ولكن قد يُظنّ - في مقابل ذلك - أنّ الدين يَحرم الإنسان من السعادة في هذه الحياة، على أساس كسب السعادة في الحياة الأخرى؛ وذلك لشواهد كثيرة في النصوص الدينية من جملتها ما يأتي..

شواهد مدعاة على ترغيب الدين عن طلب السعادة

١ـ ما جاء من ترغيب الإنسان عن الحياة الدنيا؛ بذمّها، والتزهيد فيها، والتأكيد على أنّ الراحة فيها عناء في الآخرة؛ إذ أنّ «الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ؛ فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ الآخِرَةَ وَعَادَاهَا، وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ الآخَرِ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ»، و«إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ»، ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾.

٢ـ ما جاء في النصوص ممّا يفيد أنّ مقوّمات السعادة المادية ـ كالأرزاق والآجال ـ أمور مقدّرة لا تأثير لسعي الإنسان فيها، وهذا الأمر من شأنه أن

يوجب استهانة الإنسان بحفظ النفس وتحصيل الرزق.

٣ـ إثقال التكاليف الدينية لكاهل الإنسان من قبيل الالتزامات العباديّة، والحدود الموضوعة على الممارسات التي يسعد الإنسان بها، مثل المحظورات الأخلاقية.

الانطباع الصحيح عن اهتمام الدين بسعادة الإنسان

ولكنّ هذا الانطباع ليس دقيقاً، بل هو ناشئ عن النظر إلى بعض النصوص والتعاليم الدينية من دون فهمٍ لمقاصدها، فلا بدّ من الالتفات إلى مجموع النصوص، لاستنباط الرؤية الدينية الجامعة في هذا المجال.

والنظر الجامع في النصوص الدينية يقضي بأنّ الدين يجعل الإنسان طليقاً في الانتفاع بالحياة وإمكاناتها، بل يشجّعه عليها مع الاعتدال فيها كي لا تكون على حساب المبادئ الحكيمة والفاضلة، بل يرى الدين أنّ الحاضنة السعيدة أسهلُ استجابةً لتعاليمه من الحاضنة التي تعيش المعاناة؛ لدخالة المعاناة في إغراء الإنسان بنقض المبادئ السامية وتجاوزها، بل يزيد الدين على ذلك بأنّ تديّن المرء متى كان تديّناً صحيحاً فإنّه أدعى وأوجب للسعادة في هذه الحياة، عند التأمُّل الجامع في سنن السعادة وعلاقة الدين بها.

وفي ما يأتي توضيح لهذا الانطباع، ونتطرّق خلاله إلى التفسير الصائب لما ذكر في الشواهد الثلاثة المتقدّمة، وينقسم البحث إلى قسمين:

الأول: حول الدين والسعادة المادية.

والآخر: حول الدين والسعادة المعنوية.

المنظور الديني تجاه السعادة المادية

أما القسم الأول فنوضّح في شأنها من المنظور الديني المتمثّل في القرآن الكريم أموراً أربعة..

١. الرؤية الدينية تجاه توفير الإنسانِ السعادةَ المادية للآخرين.

٢. الرؤية الدينية تجاه تحصيل الإنسان السعادة المادية لنفسه، من خلال الأسباب المباشرة لها، ونتعرّض من خلال هذا الأمر لتوضيح القول

في الشواهد الثلاثة المذكورة للانطباع السلبي المتقدم.

٣. الرؤية الدينية حول العلاقة بين المادة والسعادة.

٤. الرؤية الدينية حول دور السعادة المعنوية في السعادة المادية.

اهتمام الدين بتوفير أسباب السعادة للآخرين

أما (الأمر الأول): في الرؤية الدينية تجاه توفير الإنسان أسباب السعادة المادية للآخرين، فإنّ من الواضح أنّ الدين يهتمّ بذلك ويحثّ عليه حثّاً أكيداً، والنصوص الدينية مليئة بالحثّ على الإنفاق، والإحسان، والبرّ بالآخرين، وتفريج الكربة عنهم، والاستجابة لاستغاثتهم، وقضاء حوائجهم.

وقد جاء في النصوص ما يفيد أنّ من أحسن إلى غيره فقد أقرض الله سبحانه، وأن الله تعالى يتلقى الإحسان إلى الآخرين قبل من أحسن إليه، إلى غير ذلك من المعاني النبيلة المشوّقة للإحسان.

وهذا كلُّه واضح لا ريب فيه، ولكن نشير إلى عدّة أمور إضافية:

(أولاً): إنّ الدين لم يقتصر على الحثّ على إسعاد الآخرين بل أوجب ذلك في موارد كثيرة، ففرض حقّاً عامّاً في أموال الإنسان للفقراء والمضّطرّين ـ كما في الزكاة ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وكذلك الحال في الخمس، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

(وثانياً): أنّه جعل الإحسان إلى الآخرين كفّارة واجبة عن أخطاء أو خطايا متعددة، فنجد ـ مثلاً ـ أنّ كفارة القتل الخطأ، والظهار، وحنث اليمين، والصيد في حال الإحرام أحدُ ثلاثة: العتق، والإطعام أو الإكساء، والصيام، كما جعل الإحسان ـ على

نحو عامّ ـ كفّارة عن الذنب، قال تعالى ـ بعد تشريع القصاص: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾.

(وثالثاً): أنّه جعل الإحسان إلى فئات خاصة واجباً، من جهة الوشائج التي تربط الإنسان بهم مثل الآباء، والأولاد، والأقارب، والأزواج، والجيران، وغيرهم، ويتمثّل ذلك في أحكام كثيرة، منها وجوب الإنفاق على جملة من هؤلاء، وحظر حرمان الأقارب والأزواج من الميراث بالوصيّة بتمام المال.

(ورابعاً): أنّه حثّ على أنواع رائعة من الإحسان..

(منها): الإيثار، والذي هو تفضيل الغير على النفس مع حاجتها، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

و(منها): المواساة، وهو أن يحدّد الإنسان النعم التي يتمتّع بها، مراعاة للمحرومين منها، من: جيران وأقارب وعامّة الناس، وقد ورد في الأثر: أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام كانوا يبيعون ما يحصدونه من زرعهم عند ضيق الناس، ثمّ يشترون معهم؛ حتى يكونوا مثلهم بل ورد إيجاب ذلك على أئمة العدل، كما في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ العَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ؛ كَيْ لَا يَتَبَيَّغَ بِالفَقِيرِ فَقْرُهُ»، وقال ـ في رسالته إلى عثمان بن حنيف: «وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا العَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا القَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا القَزِّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي، إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالحِجَازِ أَوْ اليَمَامَةِ مَنْ لا طَمَعَ لَهُ فِي القُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً، وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ القَائِلُ: وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ، وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى القِدِّ، أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: هَذَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ العَيْشِ».

ترغيب الدين الإنسانَ في تحصيل أسباب سعادته المادية

(الأمر الثاني): الرؤية الدينية تجاه تحصيل الإنسان السعادة المادية لنفسه..

والذي يُفهم من مجموع النصوص الدينية: أنّ التأصيل العام هو ترغيب الناس إلى الانتفاع بنعم الحياة، والاستجابة إلى الرغبات الفطرية التي سُنّ وجود الإنسان عليها، ولكن من غير إسراف ولا تقتير، قال الله سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾..

والمراد من الإسراف: ضرب من المبالغة والإفراط الذي يؤدي إلى تضييع النعمة، أو التلهّي بها عن الحقائق الكبرى في الحياة، وعن رعاية المبادئ الحكيمة والفاضلة -وقد لوحظ ذلك في بعض المترفين من أولي النعمة- كما أنّ المراد بالتقتير: مبالغة الإنسان في حرمان نفسه بما يترك مضاعفات سلبية.

وعليه: فإنّ الدين لا يدعو إلى التضييق على النفس لأجل التضييق، ولا للتقليل من استعمال النعمة لأجل التقليل ذاته، بل يدعو الإنسان إلى الإمساك بزمام الاستجابة لهذه الرغبات؛ تحقيقاً للصلاح العام في هذه الحياة -حيث إن عامّة الظلم والتعسّف ناشئ من الاندفاع فيها- وتعاملاً مع هذه الحياة بما يلائم موقعها في الرؤية الكونية الدينية، حيث إنّها مَعبرٌ للآخرة، ومحلٌّ للزرع دون الحصاد، وهو ما عُبّر عنه تعبيراً بليغاً ووافياً في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.

[اتجاه الدين في مناحي الحياة]

أوراق علمية

معنى الكعبين

الشيخ محمّد حسن الجواهريّ

(وهما قبتا القدمين) كما في النافع والروضة والتنقيح ناسباً له في الأخير إلى أصحابنا وقبتا القدمين أمام الساقين ما بين المفصل والمشط، فالكعب في كل قدم واحد، وهو ما علا منه في وسطه على الوصف المتقدم، كما في المقنعة، بل في التهذيب الاجماع ممن قال بوجوب المسح عليه، وهما معقد الشراك، كما في الإشارة والمراسم وعن الكافي، والعظمان اللذان في ظهر القدمين عند معقد الشراك، كما في السرائر، والنابتان في وسط القدم عند معقد الشراك كما في الغنية، وحكى عليه الاجماع المتقدم عن الشيخ، والعظمان النابتان في وسط القدم كما في الخلاف والجمل والعقود وعن المبسوط، حاكيا في الأول عليه الاجماع المتقدم، والعظمان النابتان في ظهر القدم عند معقد الشراك كما في الانتصار وعن مجمع البيان، ومكان الظهر وسط كما في المهذب، حاكياً في الأول عليه الاجماع المتقدّم وفي الثاني نسبته إلى الإمامية، وهما ظهر القدم كما عن ابن أبي عقيل، وفي ظهر القدم دون عظم الساق وهو المفصل الذي قدام العرقوب كما عن ابن الجنيد، والعظمان النابتان في وسط القدم وهما معقد الشراك كما في المعتبر والمنتهى، ناسباً له في الأول إلى فقهاء أهل البيت عليهم السلام، وفي الثاني إلى علمائنا، ومعقد الشراك وقبتا القدم، وعليه

إجماعنا كما في الذكرى، والعظمان اللذان في ظهر القدم كما عن النهاية الأثيرية، ناسبا له إلى الشيعة، ونحوه في ذلك ما نقل عن صاحب لباب التأويل، ووافقنا عليه محمد بن الحسن الشيباني من العامة، وخالف الباقون، فذهبوا إلى أنهما العظمان النابتان يمين الساقين وشمالهما، كما نقل ذلك عنهم في المقنعة والتهذيب والخلاف والانتصار والمعتبر والمنتهى وغيرها.

لكن لا ينبغي إطالة البحث معهم بعد اتفاق الفرقة المحقّة على عدمه، بل كاد يكون ضرورياً من مذهبهم، كما أنّ أخبارهم به عن أئمتهم كادت تكون متواترة، بل هي كذلك كما ادعاه بعضهم، بل حكى في الذكرى عن العلامة اللغوي عميد الرؤساء في كتاب الكعب أنّ العقدتين في أسفل الساقين اللتين يسميان كعباً عند العامة يسميان عند العرب الفصحاء وغيرهم جاهليهم واسلاميهم (مَنجَمين) بفتح الميم والجيم، و(الرُهرُهين) بضم الراءين، وسمعت ما حكاه غيره أنهما يسميان (الظنبوب) أيضاً.

ومن العجيب ما وقع للفاضل المقداد في التنقيح هنا أن ما عليه أكثر الجمهور واختاره العلامة أنهما عظما الساقين، فإنه إن أراد بعظمي الساقين العقدتين فالعلامة لا يوافقهم على ذلك، وكيف وهو قد ادعى الاجماع في المنتهى على خلافه، وأكثر من الشواهد على بطلانه، وإن أراد مفصل الساق والقدم فهو وإن اقتضاه ما ستسمعه من بعض عبارات العلامة لكنه ليس ذلك مذهباً للعامة، بل المعروف عنهم أنهما العقدتان كما نقل ذلك غير واحد، ونحوه ما نقله المحقّق الثاني أيضاً في شرح الألفية عن العلامة أنّ الكعبين عنده العقدتان، وكيف كان فقال العلامة في المنتهى بعد ما سمعت من عبارته المتقدمة وإفساده كلام العامة: «فرع قد يشتبه عبارة علمائنا على بعض من لا مزيد تحصيل له في معنى الكعب، والضابط ما رواه زرارة وبكير في الصحيح[1] عن الباقر عليه السلام قلنا: «أصلحك الله

(١) الوسائل- الباب ١٥ من أبواب الوضوء- حديث ٣ مع اختلاف يسير.

فأين الكعبان قال. **ها هنا يعني المفصل دون عظم الساق**»، وقال في المختلف: «يُراد بالكعبين هنا المفصل بين الساق والقدم وفي عبارات علمائنا اشتباه على غير المحصل - ثم نقل جملة مما ذكرنا من العبارات - وقال: لنا ما رواه زرارة وبكير ابنا أعين»[1] وذكر الرواية السابقة، وما رواه ابن بابويه عن الصادق عليه السلام[2] قال: «**حكى صفة وضوء رسول الله** صلى الله عليه وآله - إلى أن قال-: **ومسح على رأسه وظهر قدميه «وهو يعطي استيعاب المسح لجميع ظهر القدم، ولأنه أقرب إلى ما حدده أهل اللغة**» وقال في التحرير: «إن الكعبين هما المفصلان اللذان يجتمع عندهما القدم والساق» وفي القواعد هما حد المفصل بين الساق والقدم، وفي الإرشاد هما مجمع القدم وأصل الساق، وعن التذكرة أنهما العظمان في وسط القدم وهما معقد الشراك أعني مجمع الساق والقدم، ذهب إليه علماؤنا أجمع، وبه قال محمد ابن الحسن، ولقد أنكر عليه بعض من تأخر عنه كالشهيد والمحقق الثاني وغيرهما، بل قيل إنه من متفرداته، وأنه خالف به المجمع عليه بين أصحابنا، بل الأمة من الخاصة والعامة، لما عرفت أن مذهب الخاصة العظم الناتئ، والعامة العقدتان، وأن ما ذكره عجيب، ودعواه تنزيل عبارات الأصحاب عليه أعجب، وأنه إن أراد بكونه أقرب إلى ما حدده به أهل اللغة لغوية العامة فهم مختلفون، وإن أراد لغوية الخاصة فهم متفقون على خلافه» وقال في الذكرى: «انه أحسن ما ورد في ذلك ما ذكره أبو عمر الزاهد في كتاب فائت الجمهرة، قال: اختلف الناس في الكعب، فأخبرني أبو نصير عن الأصمعي أنه الناتئ في أسفل الساق عن يمين وشمال، وأخبرني سلمة عن الفراء قال: هو في مشط الرجل، وقال هكذا برجله، قال أبو العباس: فهذا الذي يسميه الأصمعي الكعب هو عند العرب المنجم. قال: وأخبرني سلمة عن الفراء عن

(١) الوسائل- الباب ١٥ من أبواب الوضوء- حديث٣.

(٢) الوسائل- الباب ١٥ من أبواب الوضوء- حديث٢، لكن رواه عن الباقر عليه السلام.

الكسائي، قال: قعد محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام في مجلس كان له، وقال: «**ها هنا الكعبان**»، قال: فقالوا: هكذا، فقال: «**ليس هو هكذا، ولكنه هكذا**»، وأشار إلى مشط رجليه، فقالوا له: إن الناس يقولون هكذا، فقال: «هذا قول الخاصة، وذاك قول العامة» انتهى.

وفي جامع المقاصد: «أنه إن أراد نفس المفصل هو الكعب لم يوافق مقالة أحد من الخاصة والعامة، ولا كلام أهل اللغة، ولم يساعد عليه الاشتقاق الذي ذكروه، فإنهم قالوا إن اشتقاقه من كعب إذا ارتفع» انتهى.

بل قيل إنه مخالف للأخبار، (منها): ما رواه الشيخ والكليني عن أحمد بن محمد بن أبي نصر في الصحيح عن أبي الحسن الرضا عليه السلام[1] قال: «سألته عن المسح على القدمين كيف هو؟ فوضع كفه على الأصابع فمسحها إلى الكعبين إلى ظاهر القدم» بتقريب أن قوله: (إلى ظاهر القدم) بدل أو بيان.

(١) الوسائل- الباب ٢٤ من أبواب الوضوء- حديث٤.

و(منها): ما رواه الشيخ عن ميسر[2] عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**ألا أحكي لكم وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أخذ كفاً من ماء إلى أن قال: ثم مسح رأسه وقدميه، ثم وضع يده على ظهر القدم ثم قال: هذا هو الكعب، قال: فأومأ بيده إلى أسفل العرقوب، ثم قال إن هذا هو الظنبوب**».

و(منها): ما رواه الشيخ في الحسن أو الصحيح قال عليه السلام:[3] «**الوضوء واحد، ووصف الكعب في ظهر القدم**».

و(منها): ما رواه الشيخ في الصحيح عن زرارة وبكير عن أبي جعفر عليه السلام[4] أنه قال في المسح: «**تمسح على النعلين ولا تدخل يدك تحت الشراك**»، ونحوه غيره ممّا دلّ أنّ علياً عليه السلام[5] توضأ ومسح ولم يستبطن

(٢) الوسائل- الباب ١٥ من أبواب الوضوء- حديث٩.

(٣) الوسائل- الباب ٣١ من أبواب الوضوء- حديث١.

(٤) الوسائل- الباب ٢٢ من أبواب الوضوء- حديث ٤.

(٥) الوسائل - الباب ٢٣ من أبواب الوضوء- حديث٨.

الشراك. على أنه لا مقتضي لارتكاب التأويل في عبارات الأصحاب مع عدم قابلية بعضها لذلك.

وأمّا ما ذكره من الاستدلال بخبر الأخوين ففي الأوّل منهما وهو العمدة في مطلوبة لا صراحة فيه، إذ قد يراد بقوله (مفصل) أي ما يقرب إلى المفصل، بل يؤيّد ذلك أنه رواها في الكافي الذي هو أضبط من غيره بعد قوله عليه السلام: «دون عظم الساق» «فقلنا هذا ما هو فقال: هذا من عظم الساق والكعب أسفل» ومن المعلوم أنه إن أريد بعظم الساق في الرواية المنجمان فالمفصل الذي ذكره العلامة قريب منه جدا فيبعد أن يقال بالنسبة إليه أنه أسفل، واحتمال أن يراد بمعنى التحت في غاية البعد، وإن أريد بعظم الساق الملتقي مع عظم القدم فعدم دلالتها على ما يقول واضح، نعم يحتمل أن يراد بالمفصل فيها محل القطع للساق، فيكون مفصلاً شرعياً، ويؤيّده وقوع الاستدلال بهذه الرواية من المحقّق والشهيد وغيرهما على أنّ الكعب هو العظم الناشز، ولا يستبعد خطاب زرارة وبكير بذلك لكونهما العارفين بكون المفصل هو محل القطع من معقد الشراك، فيكون قوله فيها: «دون عظم الساق» أي أسفل منه، بشهادة رواية الكليني لها، واحتمال إنكار كون محل القطع ذلك لكون الوارد في بعض الأخبار هناك أنه يقطع من الكعب، والكلام فيه كما هنا باطل، لما نقل من التصريح منهم في ذلك المقام، بل قد يظهر من بعضهم دعوى الاجماع عليه حتى من العلامة أن محل القطع وسط القدم، وعليه دلّت أخبارهم ففي بعضها أنه: «يترك له ما يقوم عليه للصلاة» وفي آخر أنه: «يقطع من وسط القدم» فيكون هذه ونحوها قرينة على أن المراد بالكعب في غيرها ما ذكره الأصحاب من أنه الناشز في وسط القدم، وعن الفقه الرضوي: «يقطع السارق من المفصل ويترك العقب يطأ عليه» وهذا ينادي بمعروفية المفصل بالمعنى المتقدم. والحاصل أن المقطوع به على الظاهر كون محل قطع السارق كعب المشهور لا ما ادعاه العلامة (رحمه الله)، فلا

مانع حينئذ من حمل المفصل في هذه الرواية عليه، ويتّجه بذلك استدلال الشيخ والمحقّق وغيرهما بها على الكعب المشهور بين الأصحاب، كما أنه يتّجه الاستدلال أيضاً بروايات القطع، لما ورد في بعضها[1] أنّ (محله الكعب).

وأما الرواية الثانية فيجاب عن ظاهرها المقتضي للاستيعاب أن استيعاب العرض مجمع على عدم وجوبه، واستيعاب الطول قد حدد بغيرها من الروايات بكونه إلى الكعب، وقد عرفت معناه عند الأصحاب فينزل عليه حملاً للمطلق على المقيد، فلا شهادة له فيها حينئذ، نعم قد يشهد له ما في خبر يونس[2]: «أخبرني من رأى أبا الحسن عليه السلام بمنى يمسح بظهر قدميه من أعلى القدم إلى الكعب ومن الكعب إلى أعلى القدم» لظهوره في مغايرة الأعلى للكعب، وليس إلّا المفصل، لكنه مع قصوره عن معارضة ما تقدّم محتمل لإرادة الأعلى فيه رؤوس الأصابع وإن بعد، أو غير ذلك، هذا.

ومع ذلك كله فقد وافق العلامة الشهيد في ألفيته بعد أن شدّد الانكار عليه في الذكرى، والمقداد في كنزه، والبهائي في أربعينه وحبله، وهو المنقول عن المحدث الكاشاني والمقدس الأردبيلي، بل بالغ البهائي رحمه الله في التشنيع على من شنّع على العلامة مدعياً أنه ليس في كلمات الأصحاب ولا الأخبار ما ينافيه، بل في كلمات أهل اللغة والتشريح ما هو صريح فيه.

وحاصل دعواه «أن الكعب يطلق على معان أربعة:

(الأول) العظم المرتفع في ظهر القدم الواقع فيما بين المفصل والمشط، وهو الذي ذكره عميد الرؤساء من أصحابنا اللغويين في كتابه الذي ألفه في الكعب، وصريح عبارة المفيد منطبقة عليه.

(الثاني) المفصل بين الساق

(١) الوسائل- الباب ٤ من أبواب حد السرقة- حديث٨ من كتاب الحدود.

(٢) الوسائل- الباب ٢٠ من أبواب الوضوء- حديث٣.

والقدم، وهو الذي ذكره جماعة من أهل اللغة كصاحب القاموس، حيث قال: الكعب كل مفصل العظام، وهو المفهوم من كلام ابن الجنيد، وتنطبق عليه رواية الأخوين بحسب الظاهر.

(الثالث) أحد النابتين عن يمين الساق وشماله الذي يقال لهما المنجمين، وهذا الذي تسميه العامة كعباً، وأصحابنا مطبقون على خلافه.

(الرابع) عظم مائل إلى الاستدارة واقع في ملتقى الساق والقدم، وله زائدتان في أعلاه يدخلان في حفرتي قصبة الساق، وزائدتان في أسفله يدخلان في حفرتي العقب، وهو نأت في وسط ظهر القدم أعني الوسط العرضي، ولكن نتوه غير ظاهر بحس البصر، وقد يعبر عنه بالمفصل لمجاورته له، أو من قبيل تسمية الحال باسم المحل، وهو الذي في أرجل الغنم والبقر، وبحث عنه علماء التشريح، وبه قال الأصمعي ومحمد بن الحسن الشيباني كما نقله عنهما العامة في كتبهم، وهو الكعب على التحقيق الذي أراده العلامة رحمه الله، وعبارة ابن الجنيد والسيد المرتضى والشيخ وأبي الصلاح وابن أبي عقيل وابن إدريس والمحقق لا تأبى الانطباق عليه، والعلامة لا ينكر أن الكعب نأت في وسط القدم، كيف وقد فسره بذلك في المنتهى والتذكرة وغيرهما، ولكنه يقول هو ليس العظم الواقع أمام الساق بين المفصل والمشط، بل هو العظم الواقع في ملتقى الساق والقدم.

نعم عبارة المفيد صريحة في إرادة المعنى الأول، فذكرها في المختلف في سلخ تلك العبارة ليس على ما ينبغي، ولعله (رحمه الله) حمل المشط في كلامه على نفس القدم، وجعل قوله أمام الساقين بالنظر إلى امتداد الغاية، لكنه محمل بعيد. وكيف كان فالكعب عند علمائنا ما ذكرناه، ويراد بالنتو في كلامهم إنما هو النتو الذي لا يدرك بالحس، وبقولهم في وسط القدم إنما هو الوسط العرضي، والعامة يعرف ذلك من أصحابنا فضلا عن الخاصة، فإن كتبهم مشحونة بنقله، وهو الذي شنعوا به علينا، قال فخر الرازي في تفسيره الكبير: «قالت الإمامية:

وكل من ذهب إلى وجوب المسح أن الكعب عبارة عن عظم مستدير مثل كعب الغنم والبقر موضوع تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم، وهو قول محمد بن الحسن الشيباني، وكان الأصمعي اختار هذا القول». وقال النيشابوري في تفسيره: إن الإمامية وكل من قال بالمسح ذهبوا إلى أن الكعب عظم مستدير تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم، والمفصل يسمى كعباً، ومنه كعوب الرمح لمفاصله، ثم نقل في الأربعين جملة من كلمات أهل التشريح مما يدلّ على ذلك، ونقل جملة من كلام أهل اللغة في تسمية المفصل كعباً، قال في الصحاح: «كعوب الرمح النواشز في أطراف الأنابيب»، وقال في المغرب: «الكعب العقدة بين الأنبوبتين في القصب»، وقال أبو عبيدة: «هو الذي في أصل القدم ينتهي إليه الساق بمنزلة كعاب القنا»، ونقل فخر الرازي في تفسيره أن المفصل يسمى كعباً، وقال في القاموس: «الكعب كل مفصل للعظام، والعظم الناشز فوق القدم» فظهر من ذلك أن ما اعترض به على العلامة من أنه لم يقل به أحد من الخاصة ولا من العامة ولا من أهل اللغة كلام خال عن الاستقامة، إلى أن قال: ثم إني والله لشديد التعجب من أولئك الأعلام كيف زلت أقدام أقلامهم في هذا المقام حتى زعموا أن ما قاله العلامة مما لم يقل به أحد من الخاص والعام انتهى ملخصاً.

قلت: والانصاف يقضي بأن التعجب منه أشد والقسم على ذلك آكد، فإن فيه:

(أولاً): أن كلام العلامة بمعزل عما ذكر، وكيف وقد عرفت أنه (رحمه الله) صرّح تصريحاً غير قابل للتأويل بكونه عبارة عن المفصل، وقد سلم هذا المؤول أنه من جملة معاني الكعب وذكر جملة من أهل اللغة وغيرهم ممن نصّ عليه، وجعله ذلك من التجوز لعلاقة القرب أو الحال أو المحل في غاية البعد، إذ لا إشارة منه في جميع كتبه إلى شيء من ذلك، وكيف يحتمل أن العلامة يريده ويتكل على التعبير

عنه بمثل ذلك اللفظ الموهم لخلاف المراد مع أنه ليس في كتب أهل اللغة إشارة إليه، بل هو شيء ذكره أهل التشريح، كلا إن ذلك لا يقبله من له أدنى مسكة.

و(ثانياً) دعوى تنزيل كلمات الأصحاب عليه التي قد عرفت اشتمالها على الأوصاف التي كادت تكون صريحة في عدمه من النتو، وكونه في وسط القدم، وقبة القدم، ومعقد الشراك، وظهر القدم، وحمله النتو على إرادة النتو الغير المحسوس بالبصر والوسط على الوسط العرضي كلام لا ينبغي أن يلتفت إليه، فإن النتو الذي نقله عن أهل التشريح من كون هذا العظم المستدير له زائدتان من أعلاه، كل واحد منهما في قصبة من قصبتي الساق مما لا يعرفه إلّا من نقله عنهم، فكيف يجوز التعريف به لعامة الخلق سيما مع إيهامه خلاف المراد، وما ذاك إلّا إغراء بالجهل، وإيقاع في الوهم، وكذلك الوسط، فإن المتبادر منه الوسط الطولي والعرضي، على أن لفظ الظهر الموجود في بعض العبارات محكياً عليه الاجماع لم أدر على ماذا ينزله، وكذلك معقد الشراك، ثم إنه بناء على ذلك لا ثمرة للخلاف بيننا وبين العامة من قديم الدهر، فإنّ إيصال المسح إلى المكان الذي ذكره إن لم يكن ذلك المكان فهو قريب منه جداً، وأيضاً قد سمعت جملة من الأخبار المتقدّمة التي تتبرأ من هذا، لاسيما أخبار القطع من الكعب، كما أنك قد عرفت اعترافه بأن عبارة المقنعة لا تقبل هذا التأويل، مع أنّ الشيخ قد ادعى الاجماع في التهذيب عليها، بل قد عرفت أن المقداد في التنقيح نسب القول بأنه قبتا القدم إلى أصحابنا.

والحاصل كان إطالة الكلام في ردّ هذا المحقّق وبيان منافاة كلام الأصحاب له من تضييع الوقت بما لا يفيد، ومن العجيب تعويله في ذلك على نقل فخر الرازي ونحوه وهو لا يعلم مذهب أصحابه فضلاً عن مذاهب الخاصة، بل لا يبعد أن يكون تعمد الافتراء به عليهم قصداً للتشنيع، وكيف يعارض ذلك ما

سمعت من غيره من الشيعة خلافه ممن هو أعرف منه بمذاهب الشيعة، وبعيد عن تعمد الافتراء إلى غير ذلك، نعم يحتمل كلام العلامة احتمالاً غير بعيد بقرينة نقله الاجماع وذكره أوصاف الأصحاب في بعض كتبه أن الكعب يبتدئ من مبدأ العظم الناتئ على ظهر القدم، وينتهي إلى المفصل، والإشارة إلى المفصل في رواية الأخوين باعتبار أنه ينتهي إلى الكعب وإطلاق الكعب على الناتئ في ظهر القدم في غيرها من الروايات باعتبار كونه مبدأ الكعب، وكان جميع ما تقدم من العبارات والروايات لا تأبى التنزيل على ذلك كما أشار إليه الشهيد في الذكرى، قال: «نعم لو قيل بوجوب إدخال الكعبين في المسح إما لجعل (إلى) بمعنى (مع)، وإمّا لإدخال الغاية في المغيا قرب مما قاله وإن لم يكن إياه، إلّا أنّ ظاهر الأصحاب والأخبار بخلافه، ويؤيده المسح على النعلين من غير استبطان الشراكين» انتهى.

ولعلّه يظهر منه أنه لا يصل المفصل، لكن الظاهر وصوله، وكيف كان فلا إشكال في الاجتزاء بالمسح من رؤوس الأصابع إلى الكعب.

[جواهر الكلام: ج٢ ص٢١٥]

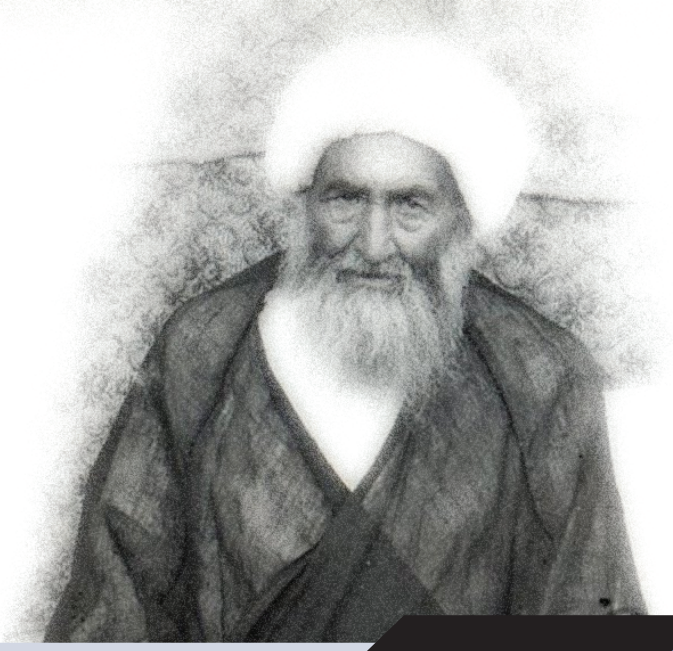

أهمية الاجتهاد في التاريخ الإسلامي

المحقّق الشيخ ضياء الدين العراقي

الاجتهاد أهمّ موضوع في سلسلة التاريخ في الفقه الإسلامي من زمن الحضور إلى عصر الغيبة وإلى زماننا هذا وحملة العلم الاجتهادي في الفقه الاسلامي، هم حملة التكاليف الإلهية للبشر إلى أقطار العالم وقد نشروا وانتشروا ما تحمّلوا من العلوم والمعارف شتّى فنون الدين والفقه الإسلامي حسب اجتهادهم ودراساتهم في المدارس الإلهيّة العلمية وقابليّتهم العقلية والاستعداديّة.

لا يخفى عليك بأنّ الاجتهاد عند الشيعة الإماميّة، عبارة عن استقصاء الوسع في طريق كشف الأحكام من الأدلّة، فهو استنباط الفروع من الأصول المأثورة في الدّين.

وقد بنى الاجتهاد عند الشيعة الإماميّة على أصلين أصيلين، وهما الكتاب والسنّة.

أمّا الكتاب فهو المصحف الشريف الإلهي على ما فيه من الأحكام الدينيّة والتكاليف والأحكام.

وأمّا السنّة فهي المحكية عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين من أهل بيته عليهم السلام الذين اذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً. بنقل ثقات الصحابة كلامهم أو فعلهم أو تقريرهم.

وأمّا الإجماع عند الشيعة الإماميّة فهو ليس بحجّة مستقلّة، بل يعدّ حاكيا للسّنّة، إذ منه يستكشف عن رأي المعصومين عليهم السلام.

قال الفقيه الهمداني في مصباح الفقيه:إنّ مدار حجيّة الإجماع، على ما استقرّ عليه رأي المتأخّرين، ليس على اتّفاق الكلّ، ولا على اتّفاقهم في عصر واحد. بل على استكشاف رأي المعصوم، بطريق الحدس، من فتاوى علماء الشيعة الحافظين للشّريعة. وهذا ممّا يختلف باختلاف الموارد.

فربّ مسألة لا يحصل فيها الجزم بموافقة الإمام عليه السلام وان اتّفقت فيها آراء الاعلام. كبعض المسائل المبتنية على مبادى عقليّة، أو نقلية القابلة للمناقشة، وربّ مسألة يحصل فيها الجزم بالموافقة، ولو من الشهرة.

وامّا العقل عند الشيعة الإماميّة، فهو الحاكم في مقام امتثال الأحكام الشرعيّة، وليس بحاكم في مقام أصل التشريع. نعم يصير حكم العقل طريقا إلى معرفة الحكم الشرعي من الشارع الحكيم. وهذا معنى الاجتهاد عند الشيعة الإمامية.

وامّا الاجتهاد عند أهل السنّة، فهو أصل مستقلّ عندهم تجاه الكتاب والسنّة، فلذا قد جعل البحث عنه، في كتبهم في أصول الفقه، في فصل مستقلّ.

وذلك لأنّ أهل السنّة، لمّا لم يعتقدوا بإمامة الائمّة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام من أهل بيت النّبي صلى الله عليه وآله، وحجيّة أقوالهم في الشريعة، ولم تكن الأخبار الواردة النبويّة الموجودة عندهم كافية لبيان جميع الأحكام الفقهيّة، يلزم الاحتياج

في استنباط احكام الحوادث الواقعة الجديدة إلى القول بحجيّة القياس.

ثم لمّا كان لم يف القياس إلى جميع الأحكام، بحثوا إلى الاستحسانات العقلية، وإلى الحكم على طبق ما يرونه من المصالح والمفاسد الظنّيّة.

ومن المعلوم، انّه لو صار باب هذا الاجتهاد منفتحا في الدين، فجاز دخول كلّ شيء خارج عن الدين، في الدين لوجود الاستحسانات وغيرها، واين هذا هو الاجتهاد في الدين ؟

وامّا الإجماع عند أهل السنّة، فهو أصل قويّ بل يكون أقوى من الاجتهاد، وهو أيضا دليل مستقلّ عندهم، تجاه الكتاب والسنّة.

وهم يستندون لهذا الإجماع، ما روى عن النبيﷺ، انّه قالﷺ: «**لن تجتمع أمّتي على الخطأ**».

ويفسّرون الإجماع، باتّفاق المجتهدين من هذه الامّة في عصر، على امر من الأمور، ولا يخفى ما فيه من الإشكال. لأنّ اطلاق النصّ، شامل لجميع الامّة، فلا يختصّ بطائفة خاصّة منهم في عصر واحد. كما أنّ اطلاق الامّة، يعمّ جميع الطّوائف الإسلامية، فلا يختصّ بأهل السنّة منهم.

فحينئذ كان الإجماع بحسب هذا المعنى الجامع، شاملاً لجميع الامّة الإسلامية، ويلزم من ذلك ان المعصومعليه السلام داخل في الإجماع أيضاً. وعلى هذا فالشّيعة الإماميّة أيضا يقولون بحجيّة مثل هذا الإجماع بالمعنى الّذي يشمل الجميع، فلا يصحّ على ما قالوا به من اتّفاق المجتهدين فقط في عصر واحد.

وهذه مكانة الاجتهاد عند الشيعة وأهل السنّة، مع ما فيه من الدقّة اللازمة في نظر الشيعة، وارجاع الإجماع بالسنّة من قول المعصومعليه السلام.

[الاجتهاد والتقليد: ج١، ص١٥]

التكفير متى نشأ ومن أين؟

آية الله السيّد محمّد رضا السيستانيّ

إذا لم يكن التكفير من صنع رسول الله صلى الله عليه وآله كما ينبغي الجزم به في ضوء ما تقدّم في الفصل السابق، فالسؤال الذي يطرح نفسه هو أنه متى حدث ـ إذاً ـ إقحامه في الصلاة؛ ومن أين نشأ ذلك؟

يبدو لي من خلال دراسة الروايات المتقدّمة والشواهد الأُخرى أن النبي صلى الله عليه وآله كان ربّما يعتمد بإحدى يديه على الأُخرى وهو قائم في الصلاة، يستعين بذلك على تخفيف ما يشعر به من تعب وإعياء في يديه الكريمتين نتيجة لطول إرساله لهما، كما نُسب إلى الإمام علي عليه السلام أنه كان يصنع مثل ذلك.

ولكن خفي وجه ذلك على بعض أصحابه ومن جاء بعدهم فظنّوا أنه كان يضع ذلك تخضّعاً لله تعالى أي يكفّر نظير ما كان يصنعه العلوج والأحباش في تعظيم دهاقينهم وساداتهم[1]، ولذلك تلقّوا التكفير

(١) ولهذا التوهّم نظائر أُخرى؛ منها: ما حكاه الإمام الباقر عليه السلام من أن الإمام الحسن عليه السلام **كان جالساً ومعه أصحاب له فمر بجنازة، فقام بعض القوم ولم يقم الحسن، فلما مضوا**

أدباً من آداب الصلاة وسُنّة من سنن رسول الله ﷺ، فصاروا يأمرون الناس به ويحثّونهم عليه.

وقد ساعد على هذا الفهم عاملان:

١ ـ ورود بعض الأحاديث الحاثّة على وضع اليمين على الشمال في سياق استحباب التبكير في الإفطار والتأخير في السحور، مع أنها أجنبيّة عن استحباب التكفير تماماً كما تقدّم.

٢ ـ اختلاط المسلمين بعد الفتوحات في صدر الإسلام بقوميّات وحضارات جديدة تأثّرت بها واكتسبت منها، وكانت عملية التكفير بشتّى صورها من مظاهر التعظيم عند تلك الأُمم ـ كما مرّت الإشارة إليه، مما أوحى إلى بعض الصحابة أن ما شاهدوه من صنع النبي ﷺ ولو في بعض الأحيان كان بقصد الخضوع لله تعالى، وليس للاعتماد تخلّصاً من الإعياء.

وعلى أساس هذا الفهم وحفاظاً على المظهر الموحّد للمسلمين والذي وجدنا له شواهد في سيرة بعض الخلفاء كالاجتماع للنافلة في شهر رمضان[1]، صدرت الأوامر بوضع اليمين على الشمال في الصلاة كما قال سهل بن سعد: «كان الناس يؤمرون بوضع اليمين على الشمال في الصلاة».

ومن هنا ترى أن أئمة أهل البيت عليهم السلام حينما بدؤوا يعالجون هذه الظاهرة وينهون عنها أشاروا في ثنايا ذلك إلى جذور المسألة، وكيف وجدت طريقها إلينا: «**لا يجمع مسلم يديه في صلواته وهو قائم بين يدي الله عزّ وجل يتشبّه بأهل الكفر يعني المجوس**» و: «**لا تُكفّر فإنما يفعل ذلك المجوس**» أو: «**فإن ذلك تكفير أهل الكتاب**».

بها قال بعضهم: ألا قمت عافاك الله فقد كان رسول الله ﷺ يقوم للجنازة إذا مرّوا بها، فقال الحسن: إنما قام رسول الله ﷺ مرّة واحدة وذاك أنهُ مرّ بجنازة يهودي وكان المكان ضيّقاً فقام رسول الله ﷺ وكره أن تعلو رأسه. (قرب الإسناد ص٤٢) وهذه الرواية كما توضّح لنا كيف أن بعض الناس كانوا يخطئون في فهم بعض أفعال رسول الله ﷺ فيحملونها على غير وجهها، كذلك تبيّن كيف أن عملاً صدر منه ﷺ، مرة واحدة نُقل بصورة تدلّ على الدوام والاستمرار!.

(١) لاحظ النص والاجتهاد ص٢١٣.

وعلى أساس هذه الرؤية يمكن أن نتعامل مع الروايات المتقدّمة ونوجّهها على النهج الآتي:

أ) إن الأصل في الروايات الحاكية لفعل رسول الله ﷺ كحديث وائل وهلب وشداد وغطيف هو ما كان يصنعه في بعض الأحيان من الاعتماد بيمينه على شماله، ولكن صيغت في بعض تلك الروايات بصورة تدلّ على الدوام والاستمرار.

(ب) إن الأصل في الروايات المتضمّنة أن وضع اليمين على الشمال سُنّة هو انطباع بعض الصحابة عن صنع رسول الله ﷺ ولذا لم يسندوه إليه.

(ج) إن الروايات الدالّة على أن وضع اليمين على الشمال مما أمر به الأنبياء وأنه من أخلاق النبوّة أجنبية عمّا هو محلّ البحث وهو: (الوضع تخضّعاً لله سبحانه وتعالى)، وإنما تدلّ على استحباب وضع إحدى اليدين على الأُخرى طلباً للراحة كالتبكير في الإفطار والتأخير في السحور.

ولعلّ هذه الرؤية بما تتضمّنه من توجيه وتفسير لأحاديث الباب هي رؤية من ذهب إلى إنكار مشروعيّة التكفير والترخيص في القبض للإعياء خاصة كالإمام مالك بن أنس والأوزاعي فقيه أهل الشام والليث ابن سعد الفقيه المعروف ومن تقدّمهم من الصحابة والتابعين.

فتلخّص مما تقدّم أن ما ذهبت إليه الشيعة الإمامية والزيدية والمالكية من عدم سُنيّة التكفير بمعنى وضع اليمين على الشمال تخضّعاً لله عز وجل هو الحقّ الذي تعزّزه الشواهد والأدلّة.

وما أحسن ما ذكره السيد الشريف المرتضى في بعض رسائله قائلاً: «إن من لم يضع إحدى يديه على الأخرى لا خلاف في أنه غير عاصٍ ولا مبتدع ولا قاطع للصلاة، وإنما الخلاف في من وضعهما، فالأولى والأحوط إرسال اليدين»[1].

[بحوث فقهية]

(١) رسائل الشريف المرتضى: ج١ ص٢١٩.

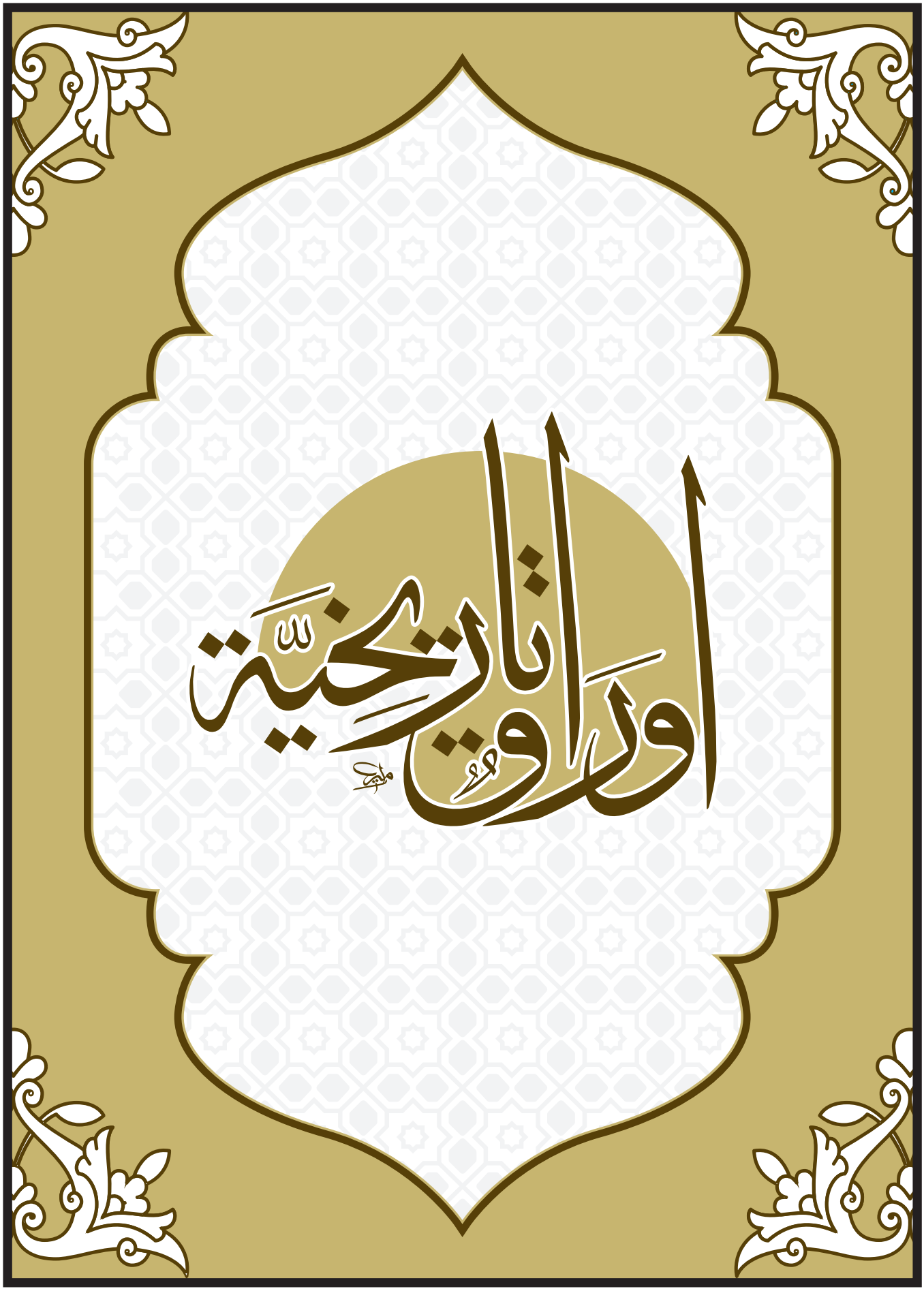
اوراد اتاريخية

في جهود النبيّ صلى الله عليه وآله لصالح الإسلام بكيانه العام

فقيه أهل البيت عليهم السلام
آية الله العظمى السيد
محمد سعيد الحكيم

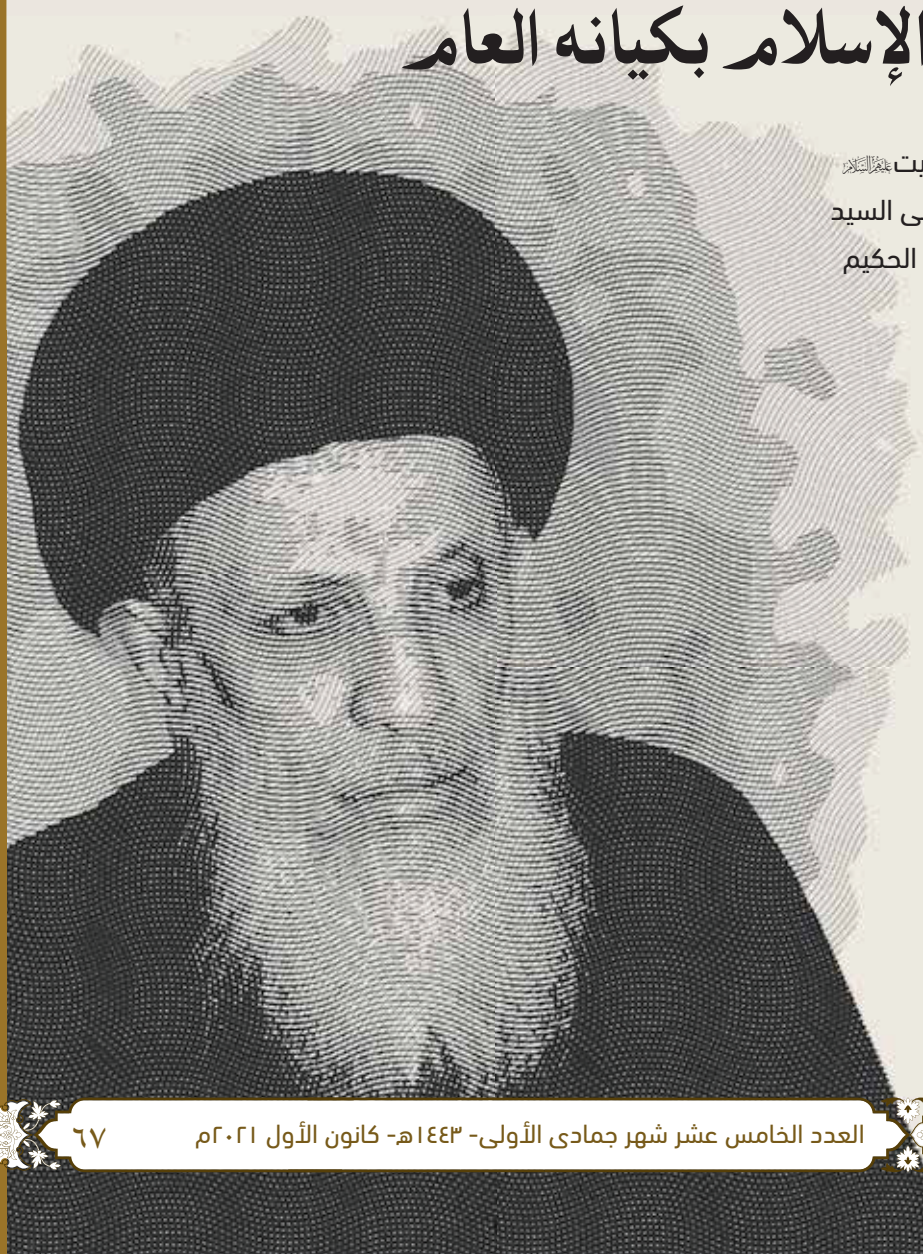

من المعلوم حال العرب قبل البعثة في تدابرهم وتشتتهم وتفرق كلمتهم، ووهنهم وضعفهم، واحتقار الأمم إياهم.

وقد أوضح ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة بالقاصعة، حيث قال: «**فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عليهم السلام، فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ، تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ، لَيَالِيَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْآفَاقِ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ، وَمَهَافِي الرِّيحِ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ ذَبَرٍ وَوَبَرٍ، أَذَلَّ الْأُمَمِ داراً، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً، لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلَاءِ أَزْلٍ، وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ، مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ**»[1].

ونحوه قول سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها الكبرى: «**وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القدّ، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم**»[2].

وقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله بحكمته وحسن إدارته وتسديد الله تعالى له أن يجعل من هذه الأمة موحدة، تنهض بنشر الإسلام في مدّة قصيرة، بنحو تتقبله الشعوب المختلفة وتدخل فيه أفواجاً، وتتبناه عن قناعة كاملة. حتى صار ديناً عالمياً ولا يخصّ أمة معينة.

محافظة الإسلام على اللغة العربية

لكن مع ذلك بقي محافظاً على اللغة العربية في تراثه من كتابه المجيد الخالد والأحاديث الشريفة عن

(١) نهج البلاغة: ج٢، ص١٥٢ ـ ١٥٣.
(٢) الاحتجاج: ج١ ص: ١٣٥ ـ ١٣٦ في ذكر ما احتجت به فاطمة عليها السلام على أبي بكر.

النبي صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته عليهم السلام الذين اخذوا منه، وينطقون عنه، كما سبق - بمضامينها المختلفة في الأحكام والأخلاق والأدعية والزيارات وغيرها، من دون أن يؤثر ذلك على هويته العالمية وعموميته.

خلود اللغة العربية بالإسلام

بل ذلك التراث الرفيع صار سبباً لبقاء اللغة العربية الفصحى محفوظة بصيغتها هذه القرون الكثيرة. حيث يسهل على الأجيال مهما تعاقبت فهم تراثها العريق من صدر الإسلام حتى اليوم. وهو أمر تفقده كثير من اللغات أو كلّها.

كما تفقده الأديان الأخرى، حيث صار تراثها معرضاً للتحريف والتشويه، لعدم انتشاره بلغته الأصلية، ليظهر ما وقع من التحريف فيه بمرور الزمن، واختلاف المصالح والطوارئ.

سموّ شخصية النبيّ صلى الله عليه وآله

هذا وقبل الحديث عن جهود النبي صلى الله عليه وآله في ذلك علينا أن لا نغفل ما أشار اليه أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه المتقدم في مقدمة هذا البحث من أن الله تعالى قرن بنبيه صلى الله عليه وآله مذ كان فطيماً ملكاً يسلك به الطريق لمكارم الأخلاق، حيث ظهر ذلك عليه قبل بعثته، وعُرف في قومه بالصادق الأمين[1].

حتى أنه صلى الله عليه وآله أوصى حين هاجر للمدينة أمير المؤمنين عليه السلام بأن يؤدي ما عنده من أمانات للمشركين الذين كانوا يعادونه، وقد خرج من مكة على غفلة هارباً منهم[2]، وكان لذلك أعظم الأثر في احترام قومه له قبل بعثته، وقبل أن يصدع برسالته.

اعتراف المشركين بصدقه صلى الله عليه وآله حجة عليهم

بل حتى بعد ذلك، فإن استئمانهم له، بعد أن أعلن دعوته التي عادوه من أجلها، شاهدٌ بأنهم بقوا على الإيمان بصدقه وأمانته، وأنه صلى الله عليه وآله لم يتغير عمّا كان عليه.

فالعداء في الحقيقة ليس له، بل

---

(١) لاحظ الطبقات الكبرى: ج٣، ص٢٢؛ وأنساب الأشراف: ج١، ص٢٦١؛ وكنز الفوائد: ص٨١. وغيرها من المصادر.

(٢) طبقات ابن سعد: ج٣، ص٢٢؛ أنساب الأشراف: ج١، ص٢٦١.

لرسالته لا غير، لأنها تضرّ بمصالحهم. وذلك بنفسه حجة لهﷺ عليهم. وقد يشير لذلك قوله عز وجل: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾[1].

شواهد إيمان المشركين بصدقه في دعوته

ويناسب ذلك ما عن المغيرة بن شعبة. قال: «أول يوم عرفت فيه رسول اللهﷺ أني أمشي أنا وأبو جهل ابن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول اللهﷺ فقال رسول اللهﷺ لأبي جهل: **يا أبا الحكم هلمّ إلى الله وإلى رسوله. إني ادعوك إلى الله**. فقال أبو جهل: يا محمد هل أنت منتهٍ عن سبّ آلهتنا؟! هل تريد إلّا أن نشهد أن قد بلغت؟ فنحن نشهد أن قد بلغت.

فو الله إني لو أعلم أن ما تقول حق ما تبعتك. فانصرف رسول اللهﷺ. وأقبل عليّ. فقال: والله إني أعلم أن ما يقول حقّ، ولكن بني قصي قالوا: فينا الحجابة. فقلنا: نعم. قالوا: فينا الندوة. قلنا: نعم. قالوا: فينا اللواء. قلنا: نعم. قالوا: فينا السقاية. قلنا: نعم. ثم أطعموا وأطعمنا، حتى إذا تحاكّت الركب قالوا: منّا نبيّ. فلا والله لا أفعل»[2].

وما عن أبي يزيد المدني: «أن رسول اللهﷺ لقي أبا جهل فصافحه أبو جهل. فقيل له في ذلك. فقال: والله إني لأعلم أنه صادق. ولكنّا متى كنّا تبعاً لعبد مناف؟!»[3].

وقال السدّي: «التقى أخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال له: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا. فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب

(١) سورة الانعام الآية: ٣٣.

(٢) السيرة النبوية ج:٤، ص١٩١ حديث النبي حيث خاصمه المشركون. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ج:٢، ص٢٠٧ باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الاعجاز وأنه لا يشبه شيئاً من لغاتهم مع كونهم من أهل اللغة وأرباب اللسان.

(٣) مجمع البيان: ج٤، ص ٤٢. مرآة العقول في شرح اخبار آل الرسول: ج٢٦، ص١٠٧. الكشف والبيان تفسير الثعلبي: ج٤، ص١٤٤.

قط. ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والندوة والنبوّة فبماذا يكون لسائر قريش؟!»[1].

وما روي أنّ أبا جهل قال للنبيّ ﷺ: «ما نتهمك ولا نكذبك، ولكنّا نتهم الذي جئت به ونكذبه»[2].

وقيل: إنّ الحرث بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي ﷺ: «إنا لنعلم أن قولك حق، ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا، ولا طاقة لنا بالعرب. فنزل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

ومن شواهد سموّ شخصيته ﷺ أيضاً أن زيد بن حارثة قد استرق في الجاهلية، فاشترته خديجة الكبرى أم المؤمنين عليها السلام، واهدته لرسول الله ﷺ ثم جاء أبوه ليأخذه، فطلب من أبي طالب أن يكلم رسول الله ﷺ في أن يبيعه إياه أو أن يفاديه أو يعتقه، فكلّم أبو طالب رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: **هو حرّ، فليذهب كيف يشاء.**

فقام الحارثة فأخذ بيد زيد، فقال له: يا بني الحق بشرفك وحسبك. فقال زيد: لست أفارق رسول الله ﷺ أبداً. فقال له أبوه: فتدع حسبك ونسبك، وتكون عبداً لقريش. فقال زيد: لست أفارق رسول الله ﷺ ما دمت حياً. فغضب أبوه، فقال: يا معشر قريش، اشهدوا أني قد برئت منه، وليس هو ابني. فقال رسول الله ﷺ: **اشهدوا أنّ زيداً ابني أرثه ويرثني.** فكان يدعى زيد بن محمد[4]. وذلك قبل إلغاء التبنّي في الإسلام.

وقريب منه ما ذكره الشيخ المفيد في قصة زواج رسول الله ﷺ من جويرية

(١) مجمع البيان: ج٤، ص٤٢-٤٣. أمالي الشريف المرتضى: ج٤، ص١٧٤ المجلس٧٧. تفسير الطبري: ج٧، ص٢٤٠.

(٢) مجمع البيان: ج٤، ص٤٣. تفسير الطبري: ج٧، ص٢٤٠.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج١، ص٤٧. مجمع البيان: ج٧، ص٤٤٩. سورة القصص: ٣٣.

(٤) تفسير القمي: ج٢، ص١٧٢ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ من سورة الأحزاب في ضمن صحيح جميل عن أبي عبد الله عليه السلام.

بنت الحارث. قال: «ثم كان من بلائه عليه السلام ببني المصطلق، ما اشتهر عند العلماء، وكان الفتح له عليه السلام في هذه الغزوة، بعد أن أصيب يومئذٍ ناس من بني عبد المطلب، فقتل أمير المؤمنين عليه السلام رجلين من القوم وهما مالك وابنه، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وآله منهم سبياً كثيراً فقسمه في المسلمين.

وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار... وكان الذي سبى جويرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وآله فاصطفاها النبي صلى الله عليه وآله.

فجاء أبوها إلى النبيّ صلى الله عليه وآله بعد إسلام بقية القوم، فقال: يا رسول الله، إن ابنتي لا تسبى، إنها امرأة كريمة، قال: **اذهب فخيرها**. قال: أحسنت واجملت. وجاء إليها أبوها فقال لها: يا بنية لا تفضحي قومك. فقالت له: قد اخترت الله ورسوله... فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلها في جملة أزواجه»[1].

[خاتم النبيين]

(١) الإرشاد: ج١، ص١١٨. مناقب آل أبي طالب: ج١، ص١٧٣. كشف اليقين: ص١٣٦.

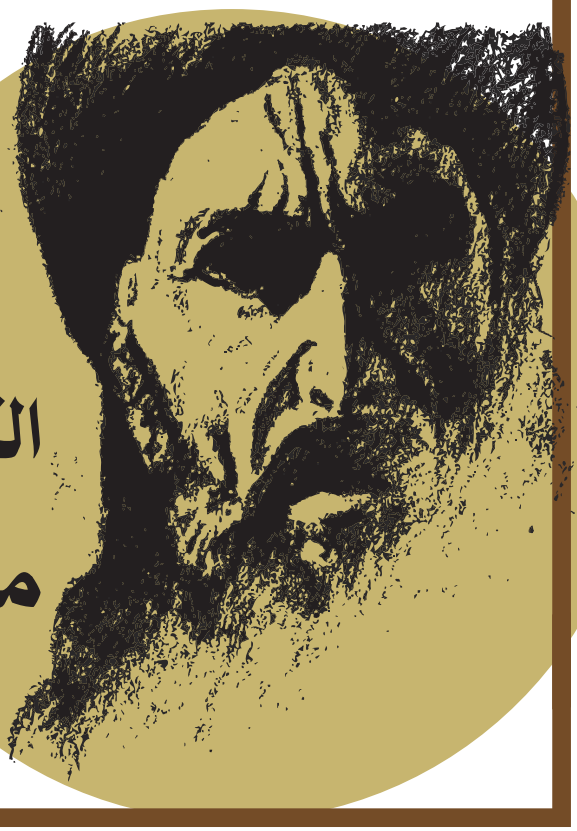

القول في محمّد ابن الحنفية

العلّامة الحلّيّ

ما يقول سيدنا في محمد ابن الحنفية هل كان يقول بإمامة أخويه وإمامة زين العابدين عليهم السلام أو لا؟ وهل ذكر أصحابنا له عذراً في تخلّفه عن الحسين عليه السلام وعدم نصرته إياه أو لا؟ وكيف يكون الحال إن كان تخلّفه عنه لغير عذر. وكذلك عبد الله بن جعفر وأمثاله.

الجواب:

قد ثبت في أصول الإمامية أن أركان الإيمان (التوحيد والعدل والنبوة والإمامة)، والسيّد محمّد ابن الحنفية وعبد الله بن جعفر وأمثالهما أجل قدراً وأعظم شأناً من اعتقادهم خلاف الحق وخروجهم عن الإيمان الذي يحصل بارتكابه الثواب الدائم والخلاص من العقاب الدائم.

وأمّا تخلّفه عن نصرة الحسين عليه السلام فقد نقل أنه كان مريضاً ويحتمل في غيره عدم العلم بما وقع لمولانا الحسين عليه السلام من القتل وغيره، وبنوا على ما وصل من كتب الغدرة إليه وتوهموا نصرتهم إياه.

[أجوبة المسائل المهنائية: ص٣٨]

قصة الميرزا النوريّ

يرويها تلميذه آغا بزرك الطهرانيّ

كان - أعلى الله مقامه- ملتزماً بالوظائف الشرعية على الدوام، وكان لكل ساعة من يومه شغل خاص لا يتخلّف عنه، فوقت كتابته من بعد صلاة العصر إلى قرب الغروب، ووقت مطالعته من بعد العشاء إلى وقت النوم، وكان لا ينام الا متطهرا ولا ينام من الليل إلّا قليلاً؛ ثم يستيقظ قبل الفجر بساعتين فيجدد وضوءه- ولا يستعمل الماء القليل بل كان لا يتطهر إلّا بالكر- ثم يتشرّف قبل الفجر بساعة إلى الحرم المطهّر، ويقف - صيفاً وشتاءً - خلف باب القبلة فيشتغل بنوافل الليل إلى أن يأتي السيد داود نائب خازن الروضة وبيده مفاتيح الروضة فيفتح الباب ويدخل شيخنا، وهو أول داخل لها وقتذاك، وكان يشترك مع نائب الخازن بإيقاد الشموع ثم يقف في جانب الرأس الشريف فيشرع بالزيارة والتهجد إلى أن يطلع الفجر فيصلي الصبح جماعة مع بعض خواصه من العباد والأوتاد ويشتغل بالتعقيب وقبل شروق الشمس بقليل يعود إلى داره فيتوجه رأساً إلى مكتبته العظيمة المشتملة على ألوف من نفائس الكتب والآثار النادرة عزيزة الوجود أو المنحصرة عنده، فلا يخرج

منها إلّا للضرورة، وفي الصباح يأتيه من كان يعينه على مقابلة ما يحتاج إلى تصحيحه ومقابلته مما صنفه أو استنسخه من كتب الحديث وغيرها؛ كالعلامتين الشيخ علي بن إبراهيم القمي، والشيخ عباس بن محمد رضا القمي، وكان معينه على المقابلة في النجف وقبل الهجرة إلى سامراء وفيها أيضاً المولى محمد تقي القمي الباوزئيري طبقات أعلام الشيعة، وكان إذا دخل عليه أحد في حال المقابلة اعتذر منه أو قضى حاجته باستعجال لئلا يزاحم وروده اشغاله العلمية ومقابلته، أمّا في الأيام الأخيرة وحينما كان مشغولاً بتكميل (المستدرك) فقد قاطع الناس على الاطلاق، حتى أنه لو سئل عن شرح حديث أو ذكر خبر أو تفصيل قضية أو تأريخ شيء أو حال راو أو غير ذلك من مسائل الفقه والأصول. لم يجب بالتفصيل بل يذكر للسائل مواضع الجواب ومصادره فيما إذا كان في الخارج؛ وأمّا إذا كان في مكتبته فيخرج الموضوع من أحد الكتب ويعطيه للسائل ليتأمله كل ذلك خوف مزاحمة الإجابة الشغل الأهم من القراءة أو الكتابة وبعد الفراغ من اشغاله كان يتغذّى بغذاء معين كماً وكيفاً، ثم يقيل ويصلي الظهر أول الزوال وبعد العصر يشتغل بالكتابة كما ذكرنا.

أما في يوم الجمعة فكان يغير منهجه، ويشتغل بعد الرجوع من الحرم الشريف بمطالعة بعض كتب الذكر والمصيبة لترتيب ما يقرؤه على المنبر بداره، ويخرج من مكتبته بعد الشمس بساعة إلى مجلسه العام فيجلس ويحيي الحاضرين ويؤدي التعارفات ثم يرقى المنبر فيقرأ ما رآه في الكتب بذلك اليوم، ومع ذلك يحتاط في النقل بما لم يكن صريحا في الاخبار الجزمية، وكان إذا قرأ المصيبة تنحدر دموعه على شيبته وبعد انقضاء المجلس يشتغل بوظائف الجمعة من التقليم والحلق وقص الشارب والغسل والأدعية والآداب والنوافل وغيرها؛ وكان لا يكتب بعد عصر الجمعة – على عادته– بل يتشرف إلى الحرم ويشتغل بالمأثور إلى الغروب كانت هذه عادته إلى أن انتقل إلى جوار ربه.

ومما سنّه في تلك الأعوام: زيارة سيد الشهداء مشيا على الاقدام، فقد

كان ذلك في عصر الشيخ الأنصاري من سنن الأخيار وأعظم الشعائر؛ لكن ترك في الأخير وصار من علائم الفقر وخصائص الأدنون من الناس، فكان العازم على ذلك يتخفى عن الناس لما في ذلك من الذل والعار، فلما رأى شيخنا ضعف هذا الامر اهتم له والتزمه فكان في خصوص زيارة عيد الأضحى يكتري بعض الدواب لحمل الأثقال والأمتعة ويمشي هو وصحبه، لكنه لضعف مزاجه لا يستطيع قطع المسافة من النجف إلى كربلاء بمبيت ليلة كما هو المرسوم عند أهله؛ بل يقضي في الطريق ثلاث ليال يبيت الأولى في (المصلى) والثانية في (خان النصف) والثالثة في (خان النخيلة) فيصل كربلاء في الرابعة ويكون مشيه كل يوم ربع الطريق نصفه صبحا ونصفه عصرا، ويستريح وسط الطريق لأداء الفريضة وتناول الغذاء في ظلال خيمة يحملها معه، وفي السنة الثانية والثالثة زادت رغبة الناس والصلحاء بالأمر وذهب ما كان في ذلك من الإهانة والذل إلى أن صار عدد الخيم في بعض السنين أزيد من ثلاثين لكل واحدة بين العشرين والثلاثين نفرا، وفي السنة الأخيرة يعني زيارة عرفة (١٣١٩) - وهي سنة الحج الأكبر التي اتفق فيها عيد النيروز والجمعة والأضحى في يوم واحد ولكثرة ازدحام الحجيج حصل في مكة وباء عظيم هلك فيه خلق كثير- تشرفت بخدمة الشيخ إلى كربلاء ماشيا، واتفق انه عاد بعد تلك الزيارة إلى النجف ماشيا أيضاً- بعد ان اعتاد على الركوب في العودة - وذلك باستدعاء الميرزا محمّد مهدي ابن المولى محمد صالح المازندراني الاصفهانيّ صهر الشيخ محمّد باقر بن محمّد تقي محشى (المعالم)، وذلك لأنه كان نذر أن يزور النجف ماشياً، ولما اتفقت له ملاقاة شيخنا في كربلاء طلب منه أن يصحبه في العودة ففعل؛ وفي تلك السفرة بدأ به المرض الذي كانت فيه وفاته يوم خروجه من النجف وذلك على اثر أكل الطعام الذي حمله بعض أصحابه في اناء مغطى الرأس حبس فيه الزاد بحرارته فلم ير الهواء وكل من ذاق ذلك الطعام ابتلى بالقيء والاسهال، وكانت عدة أصحاب الشيخ قرب الثلاثين ولم يبتل

بذلك بعضهم لعدم الأكل - وانا كنت من جملتهم-، وقد ابتلي منهم بالمرض قرب العشرين وبعضهم أشد من بعض وذلك لاختلافهم في مقدار الأكل من ذلك، ونجا أكثرهم بالقيء إلّا شيخنا فإنه لما عرضت له حالة الاستفراغ امسك شديداً حفظاً لبقية الأصحاب عن الوحشة والاضطراب. فبقاء ذلك الطعام في جوفه اثر عليه كما أخبرني به بعد يومين من ورودنا كربلاء قال: اني أحسّ بجوفي قطعة حجر لا تتحرك عن مكانها، وفي عودتنا إلى النجف عرض له القيء في الطريق لكنه لم يجده؛ وابتلي بالحمى وكان يشتد مرضه يوماً فيوما إلى أن توفي في ليلة الأربعاء لثلاث بقين من جمادى الثانية (١٣٢٠هـ) ودفن بوصية منه بين العترة والكتاب يعني في الإيوان الثالث عن يمين الداخل إلى الصحن الشريف من باب القبلة وكان يوم وفاته مشهودا جزع فيه سائر الطبقات ولا سيما العلماء. ورثاه جمع من الشعراء وأرخ وفاته آخرون منهم الشاعر الفحل الشيخ محمد الملا التستري المتوفى في (١٣٢٢هـ) قال:

مضى الحسين الذي تجسّد من
نور علوم من عالم الذر
قدّس مثوى منه حوى علما
مقدّس النفس طيب الذكر
أوصافه عطّرت فانشقنا
منهن تأريخه (شذى العطر)

ولجثمانه كرامة، فقد حدثني العالم العادل والثقة الورع السيّد محمد بن أبي القاسم الكاشاني النجفي قال: لما حضرت زوجته الوفاة أوصت أن تدفن إلى جنبه، ولما حضرت دفنها - وكان ذلك بعد وفاة الشيخ بسبع سنين - نزلت في السرداب لأضع خدها على التراب حيث كانت من محارمي لبعض الأسباب، فلما كشفت عن وجهها حانت منى التفاتة إلى جسد الشيخ زوجها فرأيته طرياً كيوم دفن، حتى أن طول المدة لم يؤثر على كفنه ولم يمل لونه من البياض إلى الصفرة.

[طبقات أعلام الشيعة]

اوراد جماعية

في فضل الصلوات اليومية وأنها أفضل الأعمال الدينية

فقيه أهل البيت السيّد كاظم اليزديّ

اعلم أنّ الصلاة أحبّ الأعمال إلى الله تعالى وهي آخر وصايا الأنبياء عليهم السلام، وهي عمود الدين إذا قُبِلَت قُبِلَ ما سواها وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها، وهي أول ما ينظر فيه من عمل ابن آدم، فإن صحت نظر في عمله وإن لم تصح لم ينظر في بقية عمله ومثلها كمثل النهر الجاري فكما أن من اغتسل فيه في كل يوم خمس مرات لم يبق في بدنه شيء من الدرن كذلك كلما صلى صلاة كفر ما بينهما من الذنوب وليس ما بين المسلم وبين أن يكفر إلّا أن يترك الصلاة، وإذا كان يوم القيامة يدعى بالعبد فأول شيء يسأل عنه الصلاة فإذا جاء بها تامة وإلا زخّ في النار وفي الصحيح قال مولانا الصادق عليه السلام: «**ما أعلم شيئا بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة ألا ترى إلى العبد الصالح عيسى ابن مريم عليه السلام قال: وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا**» وروى الشيخ في حديث عنه عليه السلام قال: «**وصلاة فريضة تعدل عند الله ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات**».

وقد استفاضت الروايات في الحث على المحافظة عليها في أوائل الأوقات وأن من استخف بها كان في حكم التارك لها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ليس مني من استخف بصلاته**» وقال: «**لا ينال شفاعتي من استخفّ بصلاته**» وقال: «**لا تضيعوا صلاتكم فإن من ضيع صلاته حشر مع قارون وهامان وكان حقاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين**» وورد: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في المسجد إذ دخل رجل فقام فصلى فلم يتم ركوعه ولا سجوده فقال صلى الله عليه وآله: «**نقر كنقر الغراب لئن مات هذا وهكذا صلاته ليموتن على غير ديني**» وعن أبي بصير قال: دخلت على أم حميدة اعزيها بأبي عبد الله عليه السلام فبكت وبكيت لبكائها ثم قالت: يا أبا محمد لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجباً فتح عينيه ثم قال: «**أجمعوا كل من بيني وبينه قرابة**». قالت: فما تركنا أحداً إلّا جمعناه فنظر إليهم، ثمّ قال: «**إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة**».

وبالجملة ما ورد من النصوص في فضلها أكثر من أن يحصى، ولله در صاحب الدرة حيث قال:

تنهى عن المنكر والفحشاء أقصر فهذا منتهى الثناء

[العروة الوثقى]

نصيحة السيّد السيستاني دام ظله للأبناء

السؤال: نرجو من سماحتكم ذكر نصيحة للأبناء حول موضوع عقوق الوالدين.

الجواب: أشد أنواع قطيعة الرحم عقوق الوالدين للذين أوصى الله عزّ وجلّ ببرّهما والإحسان اليهما، قال عزّ من قائل في كتابه الكريم: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

وقال الإمام عليه السلام: «أدنى العقوق أف، ولو علم الله عز وجلّ شيئاً أهون منه لنهى عنه».

وقال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «إنّ أبي عليه السلام نظر الى رجل ومعه ابنه يمشي والابن متكئ على ذراع الأب، فما كلّمه أبي مقتاً حتى فارق الدنيا».

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «من نظر الى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة»، وغير هذه الأحاديث كثير. وفي مقابل ذلك (برُّ الوالدين) فهو من أفضل

القربات لله تعالى، قال عزَّ من قائل في كتابه الكريم: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

وروى إبراهيم بن شعيب قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنَّ أبي قد كبر جداً وضعف فنحن نحمله إذا أراد الحاجة، فقال: **إن استطعت أن تلي ذلك منه فافعل ولقِّمه بيدك فإنَّه جنُّة لك غدا**».

وقد ورد في الأحاديث الشريفة التأكيد على صلة الأم قبل الأب، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «جاء رجل الى النبي محمد صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله من أبر؟ قال **أمك**، قال: ثم من؟ قال: **أمك**، قال: ثم من؟ قال **أمك**، قال: ثم من؟ قال: **أباك**».

[موقع المكتب]

الأخوة الخاصة والعامة في الإسلام

السيد محسن الأمين

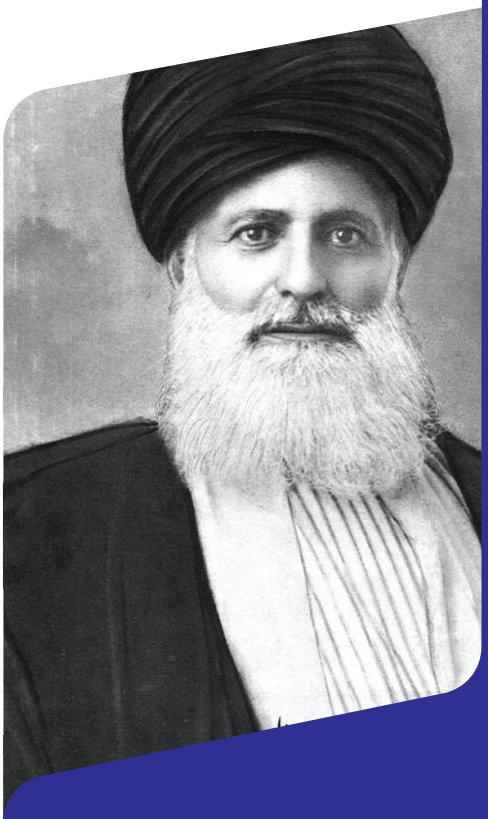

الأخوة الخاصة في الإسلام هي أول مؤاخاة في الإسلام كانت بين المهاجرين، ثم بين المهاجرين والأنصار آخى بينهم النبي صلى الله عليه وآله وسميناها مؤاخاة خاصة باعتبار أنها بين جماعة معدودين وإن كانت عامة باعتبار أنها بين جميع المسلمين الموجودين يومئذ لانحصار المسلمين فيهم في ذلك الوقت بخلاف المؤاخاة العامة الآتية فهي بين المسلمين الموجودين ومن سيوجد إلى يوم القيامة وأراد صلى الله عليه وآله بناء الإسلام على أساس ثابت وطيد هو تأليف القلوب ورفع الشحناء من النفوس والتناصر والتعاون في الأعمال لأن ذلك هو السبب الوحيد في نجاح الأعمال ورقي الأمم.

أمّا الأخوة العامة في الإسلام آخى الإسلام بين عموم أهله قريبهم وبعيدهم عربيهم وعجميهم شريفهم ووضيعهم ملوكهم وسوقتهم رجالهم ونسائهم من وجد منهم ومن سيوجد إلى يوم القيامة أعلن الله تعالى ذلك في كتابه العزيز على لسان نبيه الذي أرسله بهذا الدين وتلاه النبي جهاراً على المسلمين فسمعوه وقرؤوه وحفظوه

وكـرروا تلاوته مجتمعين ومنفردين فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ بلفظ إنما المفيد للحصر، فأصبح بمقتضى ذلك المسلم الـذي في أقـصى المغرب أخاً للمسلم الذي في أقصى المشرق.

وبهـذه الأخـوة وعـلى أساسها المتين والمحافظة عليها قام الإسلام وظهر وانتشر وبالتهاون بها ضعف وتقهقر؛ ثمّ جعل لهذه الأخوة حقوقاً وحدوداً ولوازم، فأمر بالاصلاح بين المتخاصمين منهم، وأردف قوله هذا بقوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ وفرعه عليه منبهاً على أنّ الإصلاح هو من مقتضى تلك الأخوة وموجبها وبـالـنـصرة فقال النبيﷺ: «**انـصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**». ظالماً بردعه عن الظلم، ومظلوماً بدفع الظلم عنه، وهذه هي الأخوة الصحيحة الشريفة لا أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ظالماً على ظلمه ومظلوماً على من ظلمه.

وقالﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه وحرم عليه عرضه وماله ودمه**». ونهى عن أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ.

وهـذا يسير من كثير من لـوازم الأخوة في الإسلام فانظر بعين عقلك كم في هذه الأخوة من فوائد ومنافع ومصالح عامة سياسية واجتماعية وأخـلاقـيـة، وكـم فيها مـن تأليف للقلوب وحفظ للنظام الاجتماعي وحـرص على هناء العيش وسعادة البشر.

[أعيان الشيعة: ج١]

علاج الغضب

العلامة المحدث الفيض الكاشاني

قد ثبت أن علاج كلّ علّة بحسم مادتها وإزالة أسبابها، والاسباب المهيجة للغضب هي: الزهو[1]، والعجب والفخر، والهزل، والهزء[2] والذل، والتعيير، والمماراة، والمضادة والغدر، وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً، ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا

(١) الزهو؛ الكبر والفخر ومنه حديث الشيعة لو لا أن يدخل الناس زهو لسلمت عليكم الملائكة قبلا.

(٢) هزل في كلامه من باب ضرب؛ مزح وهو ضدّ الجد قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِالهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٤] والهزؤ: السخرية والاستخفاف قال تعالى:﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١١].

بد من إزالتها بأضدادها.

فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع، والعجب بالمعرفة بنفسك، والفخر بمعرفة أنه من الرذايل وإنما الفخر بالفضائل وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة، وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء النّاس وبصيانة النفس عن أن يستهزئ بك، وأما التعيير فبالحذر من قول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضّرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعاً عن ذل الحاجة.

وكلّ خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها إلى رياضة وتحمل مشقة، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها، ثم المواظبة على مباشرة الأضداد مدة مديدة حتّى تصير بالعادة معروفة وهينة على النفس، فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل، وتخلصت عن الغضب الذي يتولد منها.

وعلاجه عند هيجانه الاستعاذة من الشيطان والجلوس إن كان قائماً والاضطجاع إن كان جالساً، والوضوء والغسل بالماء البارد، فإن الغضب من النار، كذا ورد في الحديث النبوي: وأن يتفكر فيما ورد في فضائل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال قال الله تعالى: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال: ﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۞ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «ما جرع عبد جرعة أعظم قدرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله»[1]، وقال الباقر عليه السلام: «من كظم غيظاً وهو

(١) احياء علوم الدين: ج ٣، ص ١٦٦، وتنبيه الخواطر: ج ١، ص ١٢٤.

يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وايماناً»[1]، وقال الصادق عليه السلام: «ما من عبد كظم غيظاً إلّا زاده الله عزاً في الدنيا والآخرة»[2] وقال عليه السلام: «كفى بالحلم ناصراً»[3] وقال: «إذا لم تكن حليماً فتحلم»[4].

وأن يخوف نفسه بعقاب الله أحوج ما يكون إلى العفو، وأن يحدّث نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمّر العدو لمقابلته، وأن يتفكر في قبح صورته عند غضبه بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب وأن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده.

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتّى: منهم بطيء الغضب سريع الفيء، فتلك بتلك، ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء، ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء»[5].

الحقد من نتائج الغضب

اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقداً، ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه، وأن يدوم على ذلك ويبقى، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المؤمن ليس بحقود»[6]. والحقد يثمر أمورا منها الحسد وهو أن يحمله الحقد على أن يتمنى زوال النعمة عنه فيغتم بنعمته ان أصابها ويسرّ بمصيبته ان نزلت به، ومنها أن يزيد على إضمار الحسد في الباطن فيشمت بما يصيبه من البلاء ومنها أن يهجره وينقطع عنه وان طلبه المحقود وأقبل عليه ومنها أن يتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سرّ وهتك ستر وغيره ومنها أن يحاكيه استهزاء به وسخرية منه ومنها ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه ومنها أن يمنعه حقه من صلة الرحم أو قضاء الدين أو رد مظلمة،

(١) الكافي: ج ٢، ص ١١٠، وتنبيه الخواطر: ج ١، ص ١٢٤.
(٢) الكافي: ج ٢، ص ١١٠.
(٣) الكافي: ج ٢، ص ١١٢.
(٤) الكافي: ج ٢، ص ١١٢.
(٥) احياء علوم الدين: ج ٣، ص ١٧١.
(٦) احياء علوم الدين: ج ٣ ص ١٧١.

وكل ذلك حرام. وأقل درجات الحقد أن يحترز من هذه الآفات ولكن يستثقله بالباطن ولا ينتهي قلبه عن بغضه حتى يمتنع عما كان يتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام لحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه والتحريص على بره ومواساته، فهذا كله مما تنقص من درجته في الدين، ويحول بينه وبين فضل عظيم والأولى أن يبقى على ما كان فان أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وإرغاماً للشيطان فذلك مقام الصديقين.

قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة، العفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، والاحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك**».(١)

وقال ﷺ: «**عليكم بالعفو فإنّ العفو لا يزيد العبد إلّا عزّاً فتعافوا يعزّكم الله**».(٢)

وقال الباقر عليه السلام: «**الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة**»(٣).

وعن النبي ﷺ: «**ان الرفق لم يوضع على شيء إلّا زانه، ولم ينزع من شيء إلّا شانه**»(٤).

وقال الباقر عليه السلام: «**ان لكل شيء قفلا وقفل الايمان الرفق**»(٥).

وقال عليه السلام: «**إنّ الله رفيق يحبّ الرّفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**»(٦).

وقال الصادق عليه السلام: «**من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس**».(٧)

وقال الكاظم عليه السلام: «**الرفق نصف العيش**»(٨).

[الحقائق في محاسن الأخلاق: ص٧٧-٧٩]

(١) الكافي: ج ٢، ص ١٠٧.
(٢) الكافي: ج ٢، ص ١٠٨.
(٣) الكافي: ج ٢، ص ١٠٨.
(٤) الكافي: ج ٢، ص ١١٩.
(٥) الكافي: ج ٢، ص ١١٨.
(٦) احياء علوم الدين: ج ٣، ص ١٧٥ والكافي: ج ٢، ص ١١٩.
(٧) الكافي: ج ٢، ص ١٢٠.
(٨) تحف العقول: ص ٤٥.

فقر الإنسان وحاجته

الشيخ محمد تقي فلسفي

إن الكبرياء والعظمة لله فقط؛ لأنه هو الغني بذاته، لا طريق للفقر والاحتياج إلى ذاته المقدّسة فهو الكمال المطلق... وجميع الموجودات محتاجة اليه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

الانسان الذي يفقد القدرة على المقاومة في قبال الجوع أو العطش، أو الحرّ أو البرد... الشخص الذي يهرب من وجه الوحوش المفترسة، والحشرات المؤذية...

الموجود الذي كله ضعف وعجز... لا يملك العظمة الحقيقية والكبرياء الواقعية حتى يدعوه ذلك الى التجبر والتبختر.

فـإذا عـرف الإنـسـان حـدّه، وأدرك حقيقته، ولم يتجاوزها... فإنه لا يصاب بداء التكبر والغرور أبداً، ولا ينظر إلى عباد الله نظرة الاستخفاف والاحتقار!.

وعـلى العكس فـإن الإنسان الـذي جهل حـدّه، لا يـرى في الوجود أحداً غير نفسه. ولا يفكر في شيء غير إرضاء ميوله وتحقيق مصالحه الشخصية.. إنه لا يقيم وزنـاً لسعادة المجتمع. ولذلك فلا يتورّع من الأقدام على الجرائم العظيمة.

إن موضوع الميول الشخصية التي نعبّر عنها بالغرور والأنانية عبارة عن وجودنا بكلا شطريه: الجسمي والنفسي، وإذا كانت الميـول الاجتماعية تدعونا إلى نشاطات لصالح المجتمع وتحقق الخير والنفع للجميع، فإن الميول الفردية تهمل شأن المجتمع تماماً. إنها لا تنظر في نشاطاتها إلا إلى وجود الفرد ومنافع (الأنا) فقط، فيتذكر حقوقه جيداً لكنه ينسى واجباته.

عندئذ يظهر الإجرام بصورة مختلفة من الميول الفردية كالتكبر، والاهـتـمام بـالـذات، والرغبة في الحصول على الثروة، وغير ذلك. إن المتيقن هو أن جميع هذه الميول تنبع مـن حـب الـذات وعـبـادة الشخصية، وهي التي تدفع الفرد إلى التضحية بالآخرين في سبيل نفسه.

[الطفل بين الوراثة التربية]

أوراق ثقافية

جُغرافيّة كربلاء القديمة

السيّد هبة الدين الشهرستانيّ

إنَّ لهذا البحث صِلة قويَّة، بوضوح مَقتل الحسين عليه السلام وحوادثه التاريخيَّة، واستيفاء هذا البحث يُكلِّف صاحبه؛ إذ لا يَجد المَنابع الوافية بالتفاصيل الجغرافيَّة عن كربلاء القديمة، في أيَّام قتل الحسين عليه السلام، وإنِّي أجتزي في أداء هذا الواجب بالمُمكِن، فحسب ما أظنُّه:

إنَّ كربلاء اسم قديم، مأثور في حديث الحسين، وأبيه، وجَدِّه عليهم السلام، ومُفسَّر بالكرب والبلاء، وإنَّ كربلاء مَنحوتة مِن كلمة (كور بابل) العربيَّة، بمعنى مجموعة قُرى بابليَّة، منها نينوى القريبة مِن أراضي سَدَّة الهنديَّة، ثمَّ الغاضريَّة، وتُسمَّى اليوم أراضي الحسينيَّة، ثمَّ كربله بتفخيم اللام بعدها هاء، وتَقرُب اليوم مِن مدينة كربلاء جَنوباً وشرقاً، ثمَّ كربلاء أو عَقر بابل، وهي قرية في الشمال الغربي مِن الغاضريَّات، وبأطلالها أثريَّات مُهمَّة.

ثمَّ النَواويس، وكانت مَقبرة عامَّة قبل الفتح الإسلامي، ثمَّ الحَير رواق بقعته المُشرِّفة، أو إلى حدود الصَحن الشريف، وكان لهذا الحائر وهدة فَسيحة،

محدودة بسِلسلة تِلال مَمدودة، وربوات تبدأ مِن الشمال الشرقي حيث مَنارة العبد، مُتَّصلة بموضع باب السِّدرة في الشمال، وهكذا إلى موضع الباب الزينبيَّة مِن جِهة الغرب، ثمَّ تنزل إلى موضع الباب القبليَّة في جِهة الجنوب، وكانت هذه التِّلال المُتقاربة تُشكِّل للناظرين نصف دائرة، على شاكلة نون مدخلها الجَبهة الشرقيَّة، حيث يتوجَّه منها الزائر إلى مَثوى سيِّدنا العبّاس بن علي (عليهما السّلام)، ويَجد المُنقِّبون حتَّى يومنا، في أثافي البيوت المُحدِّقة بقبر الحسين عليه السلام، آثارَ ارتفاعها القديم في أراضي جِهات الشمال والغرب، ولا يجدون في الجِهة الشرقيَّة سِوى تربة رخوة واطئة الأمر، الذي يُرشد العرفاء إلى أنَّ وضعيَّة هذه البقعة، كانت مُنذ عصرها القديم واطئة مِن جِهة الشرق، ورابية مِن جِهتَي الشمال والغَرب على شَكل هلالي، وفي هذه الدائرة الهلاليَّة حوصر ابن الزهراء عليه السلام، في حربه حين قُتِل.

وأمَّا نهر الفرات، فكأنَّه عموده الكبير يَنحدر من أعاليه، يَسقي القُرى إلى ضواحي الكوفة، وكذلك يَنشقُّ مِن عمود النهر، الشَّط مِن لدُن الرضوانيَّة نهر كفرع منه، يَسيل على بطاح ووهاد شمال شرقيِّ كربلاء، حتَّى ينتهي إلى قُرب مَثوى سيِّدنا العبّاس (رضوان الله عليه)، ثمَّ إلى نواحي الهنديَّة، ثمَّ يَنحدر فيقترن بعَمود الفرات في شمال غربيّ قرية ذي الكِفل (الكوثي القديمة)، ويُسمّى حتَّى اليوم (العَلقمي)، وكان هذا الفرات الصغير مِن صدره إلى مَصبِّه يُسمَّى (العلقمي).

والطفُّ اسم عامٌّ لأراضٍ تَنحسر عنها مياه النهر، وسُمّيت حوالي نهر العَلقمي البارزة مِن شواطئه، (طفّاً) لذلك، وسُمّيت حادثة الحسين عليه السلام فيه بواقعة الطفِّ.

[نهضة الحسين]

خذوا الماء من عيني والنار من قلبي

الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء المتوفّى (١٣٧٣هـ)

خذوا الماء من عيني والنار من قلبي ... ولا تحملوا للبرق منا ولا السحب

ولا تحسبوا نيران وجدي تنطفي ... بطوفان ذاك المدمع السافح الغرب

ولا أن ذاك السيل يبرد غلتي ... فكم مدمع صب لذي غلة صب

ولا أن ذاك الوجد مني صبابة ... لغانية عفراء أو شادن ترب

نفى عن فؤادي كل لهو وباطل ... لواعج قد جرعنني غصص الكرب

أبيت لها أطوي الضلوع على جوى ... كأني على حجر الغضا واضع جنبي

رزاياكم يا آل بيت محمد ... أغص لذكراهن بالمنهل العذب

عمى لعيون لا تفيض دموعها ... عليكم وقد فاضت دماكم على الترب

وتعسا لقلب لا يمزقه الاسى ... لحرب به قد مزقتكم بنو حرب

فواحرتا قلبي وتلكم حشاشتي ... تطير شظاياها بواحرتا قلبي

أأنسى وهل ينسى رزاياكم التي ... ألبت على دين الهداية ذولب

أأنساكم هوى القلوب على ظمى ... تذادون ذود الخمس عن سايغ الشرب

أأنسى بأطراف الرماح رؤوسكم ... تطلع كالأقمار في الأنجم الشهب

أأنسى طراد الخيل فوق جسومكم و ما وطأت من موضع الطعن والضرب
أأنسى دماء قد سفكن وادمعا سكبن وأحراراً هتكن من الحجب
أأنسى بيوتاً قد نهبن ونسوة سلبن وأكباداً أذبن من الرعب
أأنسى اقتحام الظالمين بيوتكم تروع آل الله بالضرب والنهب
أأنسى اضطرام النار فيها وما بها سوى صبية فرت مذعرة السرب
أأنسى لكم في عرصة الطف موقفاً على الهضب كنتم فيه أرسى من الهضب
تشاطرتم فيه رجالاً ونسوةً ـ على قلة الأنصار ـ فادحة الخطب
فأنتم به للقتل والنبل والقنا ونسوتكم للأسر والسبي والسلب
إذا أوجبت أحشاءها وطأة العدى علا ندبها لكن على غوثها الندب
وإن نازعتها الحلي فالسوط كم له على عضديها من سوار ومن قلب
وإن جذبت عنها البراقع جددت براقع تعلوهن حمرا من الضرب
وإن سلبت منها المقانع قنعت إذا بثّت الشكوى عن السلب بالسب
وثاكلة جنت فما العيس في الفلا وناحت فما الورقاء في الغصن الرطب
تروي الثرى بالدمع والقلب ناره تشب وقد يخطي الحيا موضع الجدب
تثير على وجه الثرى من حماتها ليوث وغى لكن موسدة الترب
نيام على الأحقاف لكن بلا كرى ونشوانة الأعطاف لكن بلا شرب
فكم غرة فوق الرماح وحرة لآل رسول الله سيقت على النجب
وكم من يتيم موثق ليتيمة ومسبية في الحبل شدت إلى مسبي
بني الحسب الوضاح والنسب الذي تعالى فأضحى قاب قوسين للرب
إذا عدت الانساب للفخر أو غدت تطاول بالانساب سيارة الشهب
فما نسبي إلّا انتسابي إليكم وما حسبي إلّا بأنكم حسبي

[أدب الطف: ج١٠ ص٤٦]

وصية

الإمام علي لولده الإمام الحسن المجتبى

(عليهما السلام)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ مِنَ الوَالِدِ الفَانِ، المُقِرِّ لِلزَّمَانِ، المُدْبِرِ لِلْعُمُرِ المُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، الذَّامِّ لِلدُّنْيَا، الظَّاعِنِ عَنْهَا غَدَاً، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ المَوْتى.

إِلَى المَوْلُودِ، المُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الأَسْقَامِ، وَرَهِينَةِ الأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ المَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الغُرُورِ، وَغَرِيمِ المَنَايَا، وَأَسِيرِ المَوْتِ، وَحَلِيفِ الهُمُومِ، وَقَرِينِ الأَحْزَانِ، وَنُصُبِ الآفَاتِ، وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ، يَا بُنَيَّ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالِاهْتِمَامِ بِمَا وَرَايَ.

غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَّقَنِي رَأْيِي، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي، فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ.

وَوَجَدْتُكَ، أَيْ بُنَيَّ، بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ المَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ، يَا بُنَيَّ، كِتَابِي هذَا مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ.

وَإِنَّ أَوَّلَ مَا أَبْدَؤُكَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَآخِرَهُ أَنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ إِلهِي وَإِلهَكَ

وَإِلهَ آبَائِكَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَرَبَّ مَنْ فِي السَّمواتِ وَمَنْ فِي الأَرَضِينَ، بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَكَمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَكَمَا يُحِبُّ وَيَنْبَغِي لَهُ.

وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلى أَهْلِ بيْتِهِ، وَعَلى أَنْبِيَاءِ الله وَرسُلِهِ بِصَلَاةِ جَمِيعِ مَنْ صَلّى عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنْ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْنَا لِمَا وَفَّقَنَا مِنْ مَسْأَلَتِهِ وَالإِسْتِجَابَةِ لَنَا، فَإِنَّ بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصّالِحَاتُ.

[أَمّا بَعْدُ] فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله - عَزَّ وَجَلَّ - أَيْ بُنَيَّ، وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ، فَإِنَّ اللهَ - تَعَالى - يَقُولُ:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً﴾. وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الله - تَعَالى - إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ.

[يَا بُنَيَّ] أَحْيِ قَلْبَكَ بِالمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وقَوِّهِ بِاليَقِينِ، ونَوِّرْهُ بِالحِكْمَةِ، وأَسْكِنْهُ بِالخَشْيَةِ، وأَشْعِرْهُ بِالصَّبْرِ، ووَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ المَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالفَنَاءِ، وبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، واعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ المَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ.

وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ، وَاعْتَبِرْ بِآثَارِهِمْ، فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا، وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دَارَ الغُرْبَةِ.

وَنَادِ فِي دِيَارِهِمْ: أَيْنَ الدِّيَارُ الخَالِيَةُ، أَيْنَ أَهْلُكِ.

ثُمَّ قِفْ عَلى قُبُورِهِمْ فَقُلْ: أَيَّتُهَا الأَجْسَادُ البَالِيَةُ، وَالأَعْضَاءُ المُتَفَرِّقَةُ، كَيْفَ وَجَدْتُمُ الدِّيَارَ الَّتِي أَنْتُمْ بِهَا.

أَيْ بُنَيَّ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ، فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَبِعْ دُنْيَاكَ بِآخِرَتِكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ.

[نهج البلاغة]